# مفاهيم ثقافية




سامر إسلامبولي

**دراسات نهضوية**

# مفاهيم ثقافية

الله...الحرية...الشيء...العدم...الموت

الثالوث...التقمص...الثابت والمتغير

**تأليف**

**سامر إسلامبولي**

**تقديم**

**الدكتور إبراهيم المصري**

دكتوراه فلسفة تربوية

مدرس في جامعة دمشق

الكتاب: مفاهيم ثقافية

التّأليف: سامر إسلامبولي

تصميم الغلاف : الفنانة سيرين سهيل الفاتح

عنوان المؤلف

**s.islambouli@gmail.com**

مصر القاهرة 00201141025253

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات ( 13 )

العلم والأخلاق أساس للنهضة والعمران

تعايش - تماسك - نهضة

## المحتوى

# بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

## الدكتور إبراهيم المصري

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد، ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، و بعد:

كان لي فرصة الاطلاع على النص الأول لكتاب "**مفاهيم ثقافية**" للكاتب الأستاذ "سامر إسلامبولي"، و قد شدني العنوان أولاً لأني دارس للفلسفة، و ثانياً لأن العنوان الفرعي يأتي على بعض أهم المسائل التي شغلت عقول الفلاسفة على مر السنين من مثل **مفهوم الله، و مفهوم الحرية، والوجود و العدم**... ، و ثالثاً أني شخصياً مهتم ببعض هذه المسائل.

وعند قراءة النص عادت بي الذاكرة إلى السنة الأولى لي في دراسة الفلسفة حين طُلب منا إعداد حلقة بحث في الفلسفة القديمة - وكانت الحلقة الأولى التي أعددتها - فاخترت "**مفهوم الله**" ليكون موضوعها. فاستعرضت وجهات نظر متعددة في الموضوع، وعرفت وقتها عدداً من الأمور التي تحكمت في بقية مسيرتي الدراسية والفكرية:

1- عرفت أن هذا الموضوع الذي كنت أعتقد أنه خاص بنا ( أعني أهل الكتب السماوية الثلاث الكبرى ) يهم آخرين غيرنا، وأنه موضوع على مستوى الإنسانية. حينها أدركت أن هناك مسائل إنسانية، مسائل تهم الجميع، و غير مقصورة على جماعة دون أخرى.

2- وأدركت شيئاً آخر لا يقل أهمية عن الأول؛ وهو أن كل وجهات النظر تتقارب في أماكن و تتباعد في أخرى، لكنها دوماً تمتلك المشروعية في الوجود؛ لأنها واجهت مسألة إنسانية، و قدمت جانباً من الحل.

3- والأمر الثالث الذي أدركته أن كل نظرية منها تنطوي على مواطن قوة وإقناع من جهة، ومواطن ضعف و محلات انتقاد من جهة أخرى، لكن الأمر المهم هنا؛ أني لم أكن أتبين كلا النوعين إلا من خلال الانتقادات التي يُوجهها أصحاب النظريات الأخرى {... وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} فاطر 14. عندها أدركت **أن الوعي بأي نظرية يكون قاصراً ما لم تعرف الانتقادات التي تُوجه إليها من أهل الاختصاص وأصحاب النظريات المختلفة**. ولذلك قررت من يومها أن لا أستمع إلى وجهة نظر واحدة، و أعدها الحقيقة كاملة، و إنما أرى دوماً أن الحقيقة موزعة بين الناس وبين النظريات، و**أن السبيل الوحيد لتكون موضوعياً من جهة، و مستقلاً بفكرك من جهة أخرى لا يكون إلا بالإطلاع على الأفكار المختلفة، والتي يكشف بعضها عَور البعض الآخر، وتتكامل**.

4- أيضاً في تلك المرحلة كان تعرفي الأول على الفلسفة اليونانية القديمة من وجهة نظر مفكر إسلامي، وهو "الشهرستاني" في كتابه "الملل والنحل"، فلاحظت أمراً أكَّد لي أيضاً صواب ما كنت قد وصلت إليه من وجوب النظر في رؤى الجميع على حد سواء، ذلك أن "الشهرستاني" يُشير في أكثر من موضع إلى أن **الفلاسفة اليونان القدماء إنما تتلمذوا هم، أو أساتذتهم على**

**أيدي حكماء أو أتباع أنبياء  ومصلحين من الشرق، وأخذوا عنهم**. فأخذ "طاليس" من تراث "موسى" (عليه السلام) وأخذ "امبادوقليس" من حكمة "لقمان"، ومن هذا وشبيهه الشيء الكثير. وهذه الأشياء لم أكن لأجدها في أي من المراجع التي رجعت إليها في ذلك الحين،  والتي كانت كلها من لون واحد.

لقد حرَّكت المسائل الإنسانية أفكار العلماء والفقهاء على حد سواء، بحث الفريقان في مفهوم الله، وفي الحرية الإنسانية، والإرادة الإلهية. بحث الفريقان في الوجود والعدم، ومسألة الانتقال من الوجود إلى العدم أو العكس، بحث الفريقان في أصل الوجود، في الإله والطبيعة، اتفقوا في المسألة، واختلفوا في المسميات، اتفقوا على أهمية المسألة، واختلفوا في حلها، إن الجميع يهتمون بالمسائل عينها – و لا عجب – أليسوا هم الناس!، والمسائل إنسانية.

لكن الغريب أنهم أنتجوا الأفكار التي غَصَّت بها بطون الكتب، ونسوا جميعاً أنهم مَن أنتج هذه الأفكار، **فنسب كل واحد منهم إلى فكرته حيازة الحقيقة كاملة،      ونفاها عن الآخر**. ودخلوا في حوارات عقيمة: كل فريق منهم يريد من الفريق الآخر أن يتنازل عن كل أفكاره، أن يعترف بأنه إذ أنتجها كان لا عقل له، أن يتوب منها، وإذ ذاك فقط يعترف له بالعقل!، ودون هذا الاعتراف ربما يكون دمه مهدوراً،أو وجوده في خطر.

**أليس شيئاً غريباً أن ننتج أفكاراً ثم تصير هذه الأفكار أقدس، أو أعظم، أو أهم منّا؟ ولها البقاء، ولنا الفناء، ولها تُقدَّم الأُضحيات والقرابين، فنُضحي بأنفسنا، أو بخصومنا على مذبحها المقدس؟! أليس هذا غريباً؟**

لقد دخل الناس في حروب عقيمة يهدف كل فريق من وراء حربه أن يُنهي أفكار الفريق الآخر، وإن لم يكن له ذلك، فلينته الآخر وأفكاره معاً. والشيء العجيب أنه في كل مرة يحدث فيها هذا الصراع، ولا يحدث إفناء لهذه الأفكار، يخرج الجميع ليقولوا: إن هذه إلا جولة، و أن الحرب لم تنته بعد.

**في الواقع هذا النوع من الحروب لا تنتهي، ولا يمكن أن تنتهي**. و ذلك لسبب بسيط هو أنها حروب على هذا المختَلف أو ذاك، و الذي لو افترضنا أنه انتهى (وهذا من النوادر كما يشهد التاريخ؛ الذي لا يزال إلى الآن يحتفظ بأكثر الأفكار بدائية وسذاجة، والأمثلة أكثر من أن تُحصى، فلينظر كل منا حوله، و ربما داخله!)، أقول: لو قُيِّض لأي صراع أن يُنهي المختَلف الجزئي الذي توجه نحوه الصراع، لظهر غيره، وغيره من المختلفين، {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } هود118.

إن الكاتب "إسلامبولي" يحاول في كتابه هذا أن يُقارب بعضاً من المسائل الفلسفية مقاربة عقيدية، و هذا ليس بالأمر الجديد، و لكن الجديد هي الروح العامة التي يقارب من خلالها هذه المسائل، و ذلك عندما يُعلن في بداية الكتاب، وعبر لغة رمزية عن توجه تَعايُشي مع الأفكار. هذه اللغة، وهذه المعاني، ضَمَّنها في شعار يضعه -كما لاحظت- على معظم كُتبه، شعار الأيدي المتصافحة،

المتصالحة، وكتاب عليه مجهر ليُشير إلى أهمية تفحص الأفكار، أفكار الجميع، دون أن تعرف لمن يعود الكتاب،ولمن يعود المجهر، فربما هي أفكارنا نتفحصها نحن، وربما هي أفكارنا يتفحصها الآخرون، وبالمقابل ربما هي أفكارهم يتفحصونها هم، أو أنها أفكارهم يتفحصها آخرون، وربما نحن من بين هؤلاء الآخرين.

إن هذه الروح هي التي أعيرها الاهتمام الأكبر، فالأفكار تبقى أفكار شخص منّا، بشر يخُطئ و يُصيب. بهذه الروح عرض "إسلامبولي" ما يراه هو، وليعرض الآخرون رؤاهم. عرض رؤيته لمسائل من المنظومة الفكرية التي ينتمي إليها، ورؤيته لأفكار من منظومات أخرى، وليعرض الآخرون رؤاهم في منظومته الفكرية وفي غيرها.

**إنها الحرية التي تُكَوّن إنسانيتنا، و نفقد إنسانيتنا إذ نفقدها، إنها الحرية التي تُؤخذ و لا تُعطى.**

أيضاً من الميزات التي لحظتها في النص الذي بين يَدي أن عدداً من فصوله كُتبت على شكل حوار، **و الحوار هو أحد أهم أدوات واستراتيجيات التعايش، و هو أحد أهم وسائل تبادل و تداول الأفكار**. إن العمل الفكري لا يكون في أفضل حالاته إلا من خلال حوار يُتيح للمفكر أن يختبر أفكاره عبر عرضها على الآخرين، ليرى إن كان قد وُفِّق في الوصول إلى صياغات متوافقة مع ما أراد منها، أم أن صياغته لا تأخذ لدى الآخرين المعاني والدلالات ذاتها التي كان قصدها. و ليرى أين هي مكامن القوة والنضج فيها فيعززها، وأين هي مواطن الإخفاق و الخطل فيعود إليها فاحصاً، مشذباً، مهذباً، محسناً، مطوراً، ومُغيّراً.

**هذا هو عالم الأفكار التي ينتجها الإنسان، إنه عالم لا يتوقف عن التغير باتجاه الأحسن،** وفي الوقت الذي تجمد فيه هذه الأفكار، و تتحول إلى معبودات، فإنها تكون قد ماتت دون أن يدري صاحبها. **إن الأفكار الحية هي الأفكار المتداولة،** و لعل من يتمسك بأفكاره كما هي، ويُخفيها عن الناس، ولا يقبل لها أن تُعرض تحت المجهر، إنما يدفنها بيديه من فرط حبه لها. كحال تلك المرأة التي ضمت ابنها تحاول أن تحميه من الناس، فإذا به من شدة حبها له، و قوة ضمتها يختنق بين ذراعيها**!.**

إذاً؛ **لتُعرض الأفكار، وليبدأ الحوار بين المختلفين، المتساوين في اختلافهم، والمتساوين في أنهم منتجو الأفكار،** و المتساوين من حيث أن أفكارهم هي اقتراحات بحلول ونتائج تفكير لمسائل إنسانية، لا تخصهم وحدهم؛ بل يشترك الناس جميعاً في الاهتمام بها، و يشترك الناس جميعاً في محاولة التصدي لها. **وليتداول الناس أفكارهم فيما بينهم في حوار يعكس جواً من التعايش، لعل الإنسانية تبرأ من صفة الإفساد في الأرض و سفك الدماء.**

و ليكن هذا الكتاب إسهاماً من الكاتب في هذا الاتجاه.

و الله ولي التوفيق.

**د. إبراهيم المصري**

أستاذ فلسفة التربية في جامعة دمشق

تَمر / 2009/3/16

# المقدمة

الفلسفة نظام وُجد مع بدء التفكير، الذي واكب ميلاد المجتمع، ونتج عنهما ضرورة تطور اللسان من الحالة الثنائية للأصوات إلى حالة ثلاثية الأصوات، ليكون اللسان قادراً على حمل دلالات الأفكار ومفاهيمها، وتجسيدها على أرض الواقع وترميزها، وتقليمها، لأن اللسان (اللغة) هو حقل وميدان للأفكار وحامل لها، ولا يمكن حصول التفكير دون لسان متطور، والتفكير مرحلة عُليا للعقل والفهم والفقه، والفلسفة هي نتيجة التفكير الفاعل بأبعاد الوجود الموضوعي المتمثل بالإنسان والكون والحياة وعلاقتهم الجدلية ببعضهم، وعلاقتهم بما قبل الحياة، وما بعد الحياة، والوصول إلى أجوبة فكرية متطابقة مع الواقع قام البرهان عليها، لتصير قاعدة فكرية فلسفية متماسكة؛ يقوم صرح الفلسفة بمنظوره للحياة والإنسان والمجتمع على أُسسها الراسخة، وبموجبها يمارس الإنسان دوره خليفة في الأرض، يقوم بعمرانها بالعدل والسلام والخير والمحبة، وهذه الفلسفة وُجدت مع أول مجتمع إنساني تشكل على الأرض، وهذا المجتمع الأول هو لاشك المجتمع العربي على أرض عربية، ما يدل ضرورة على أن رحم الفكر كان في هذا المجتمع العربي منذ القدم قبل الحضارة الإسلامية، ومنه وُلدت الفلسفة ونثرت بذورها إلى عالم الفكر الإنساني، فانتشت وترعرعت ـ ممارسة ودراسة ـ في ثرى المجتمعات الأخرى، وكل مجتمع ساهم بقدر معين في تطوير الفلسفة.[1]

1- نقصد بمفهوم العربية، مفهوم الفطرة والأصالة والنقاء والطهارة، والتعامل مع البيئة بتكامل وانسجام كجزء منها، ولا نقصد به المفهوم السياسي الحادث(القومية العربية). راجع كتابي (علمية اللسان العربي وعالميته) فصل (مفهوم العربية بين الفطرة والقومية).

لذا؛ لا قيمة البتة من الناحية العلمية لقول معظم مفكري الغرب أن أصل الفلسفة يوناني، وهي دخيلة على العرب، والعرب لا يعرفون الفلسفة قط!.

فالفلسفة عربية الوجود، ولو انتفى عنها ذلك لصارت فلسفة أعجمية وهمية لا تمت إلى الواقع بصلة، ونحن نعلم أن مادة دراسة الفلسفة هي الوجود بأبعاده كلها، والأرض العربية -كما هو معلوم - نواة الانفجار السكاني في الأرض، وهي مركز الرسالات السماوية كلها، وكل الأنبياء والرسل بُعثوا فيها للإنسانية جمعاء، والأنبياء هم سادة الفلاسفة والحكماء، والأرض المقدسة هي مكة في قلب الأرض العربية[1].

لذا؛ ينبغي على الإنسان العربي أن يكف عن شعوره بضعف تفكيره الفاعل، وأن يزيل المفاهيم السلبية، التي حقنها اليهود في ثقافته، من أن العقل العربي، عقل نقلي مُقرر فقط، وليس عقلاً منتجاً مفكراً.

**وهذا البحث الثقافي هو محاولة لتدريب الإنسان العربي على التفكير، والحوار والنقاش بصورة عربية منسجمة مع الكون العربي، دون الضياع في تيه من المصطلحات المعقدة، التي وُضعت لحجب الناس عن الدراسة الثقافية، وإشعارهم أنها صعبة المنال والفهم، وقد انطلت هذه الخدعة على الناس فانكمشوا عن دراستها، رغم أن الفلسفة ظاهرة اجتماعية متلازمة مع التفكير واللسان تماماً[2]،وهذه الأفكار للنقاش والحوار لا للإلزام.**

وختاماً أشكر الدكتور "إبراهيم المصري" على تقديمه للبحث.

دمشق — سورية

سامر 20/ 3/ 2009

---

[1] راجع كتابي (اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي).

[2] راجع كتابي (دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير).

# علاقة الفعل بالفاعل

ذات يوم استيقظ الفعل[1] من نومه باكراً، وشعر بطاقة تسري فيه، ترتب عليها تفعيل حاسة الأذن، فصار يسمع بها، وحاسة العين، فصار يبصر بها، وانتقل هذا الإحساس إلى دماغه ليقوم شيء مخفي فيه بقراءة هذه الإحساسات بصورة واعية، ويصدر الحكم عليها، قام الفعل بتكرار عملية السمع، وتقليب البصر في الأشياء، ووقف ساكناً يستمتع بما يجري في دماغه من عملية جمع هذه الإحساسات، وقيام قوة واعية بتحليلها وتركيبها، وربطها مع معلومات سابقة أو لاحقة، والحكم عليها.

وبدأ الفعل السير واكتشاف ما حوله من أشياء وصفات، وهو بحالة ذهول ومتعة في الوقت ذاته، إلى أن التقى مع مجموعة أفعال مثله، عرض لهم ما عرض له، والتقت العيون، وأحس كل واحد منهم باستقلال وجوده عن غيره، و شعروا بصفة الوعي والإدراك تحصل في نفوسهم، فاقتربوا من بعضهم مبتسمين، وتبادلوا التحيات والترحيب، وسأل أحدهم قائلاً: هل يوجد بينكم فاعل؟

فأجاب الجميع بالنفي، وقالوا: كلنا أفعال.

فقال فعل: من هو الفاعل إذاً؟

فرد عليه فعل ناقص قائلاً: لا يوجد فاعل أصلاً! هل تراه بيننا. وضحك ساخراً.

---

(1) نقصد بالفعل محل ظهوره في المفعول به.

فنظر إليه فعل من الأفعال الخمسة بازدراء، وقال له: اصمت تباً لك من فعل ناقص كيف صرت فعلاً إذا لم يكن لك فاعل؟ ألا تعلم أن الفاعل سابق في وجوده عن الفعل، ولولا الفاعل لما وُجد الفعل.

فسكت الفعل الناقص خجلاً، وأرخى نظره إلى الأرض! واستمر الحوار بين الأفعال الخمسة.

قال الفعل الأول: تعالوا نبحث عن الفاعل؟

رد الفعل الثاني: وكيف ذلك؟

قال الثالث: لنجرب أن نادي عليه؟

وطفقوا يصرخون: أين أنت أيها الفاعل!.حتى مزقوا حناجرهم وسكتوا بعد ذلك ينتظرون جواباً، ومضى وقت تلو آخر، ولم يسمعوا أي جواب لندائهم.

بدد الصمت َصوت الفعل الناقص: أ لم أقل لكم أنه لا يوجد فاعل لنا!.

رد عليه الفعل الخامس قائلاً: إلى متى تحشر نفسك فيما لا تُحسن التفكير فيه؟ لماذا إذاً اتفقنا على ندائه ابتداء؟ أليس من منطلق وجوده ضرورة، وذلك كوننا أفعالاً تحتاج إلى فاعل وجوباً، فنحن ننادي من نثبت وجوده، وليس على سبيل التجربة أو البرهان لإثبات وجوده، وإنما للتعرف عليه، فينبغي أيها الفعل الناقص أن تنتبه إلى هذا الفرق بين **مفهوم الإثبات، ومفهوم الكيف؟**.

تدخل الفعل الرابع قائلاً: دعك منه، ولنتابع بحثنا عن الفاعل!.

قال الفعل الثالث: تعالوا نجرب السبر والتقسيم على ما نراه حولنا، عسى أن يكون أحدهم هو الفاعل!.

نظر الأفعال الخمسة إلى أنفسهم، وتبادلوا النظرات بينهم.

قال الفعل الأول: هل يوجد أحد منكم يتصف بصفة الفاعل؟

فرد الجميع بالنفي!

قال الفعل الثاني: هل قام أحدكم بفعل إيجاد السماء والأرض!؟

رد عليه الفعل الخامس قائلاً: عندما بدأ وعينا وإدراكنا شاهدنا السماء والأرض موجودة قبلنا، فنحن أفعال متأخرة عنهما في وجودنا، وبالتالي فنحن لم نوجد السماء والأرض.

قال الفعل الثالث: هل يحتمل أن يكون الفاعل هو السماء أو الأرض!؟

رد الفعل الرابع قائلاً: يستحيل ذلك، لأن هذه الأشياء هي أفعال أدنى منا صفة، وذلك لفقدان الوعي والإدراك عندها!.

ولم يتمالك الفعل الناقص نفسه، وتدخل في الحوار قائلاً: ألا يوجد احتمال أن نكون أوجدنا أنفسنا، ونصير نحن الفاعل والفعل في وقت واحد؟

نظر إليه الفعل الأول وقال: عجيب أمرك يا ناقص! متى تكف عن هرائك؟ كيف يمكن أن يكون الفعل فاعلاً لنفسه؟ إذ لو افترضنا ذلك الهراء لكانت النتيجة الهلاك والفناء للفعل والفاعل معاً، من حيث انقلاب الفاعل فعلاً، والفعل فاعلاً، انظر إلى فعل (قرأ) على سبيل المثال؟ هل يمكن أن يصير فعل (قرأ) هو الفاعل (القارئ) أو هل يمكن أن يصير الفاعل (القارئ) فعل (قرأ)؟ بمعنى آخر هل يمكن أن يندمج الفاعل بفعله حيث يصيران واحداً لهما صفتان متناقضتان (الفاعل والفعل) أو (القادر والمقدور)!.

قال الفعل الخامس: لماذا لا نستطيع أن نعرف الفاعل؟

رد الفعل الثالث: يا أخي هذا شيء طبيعي لأننا لسنا فاعلين، وإنما نحن أفعال، **والأفعال لا تدرك فاعلها، ولا تدرك كل أفعاله، ولا تدرك مقاصده الذاتية من أفعاله.**

قال الفعل الثاني: لذلك لا يصح أن يسأل الفعل فاعله ما هو مقصدك من إيجاد هذا الفعل؟ وإنما ينبغي أن يسأل عن ماهية وظيفة الفعل في الوجود.

قال الفعل الأول: هذه مسألة عظيمة ينبغي الانتباه إليها أثناء بحثنا وحوارنا!.

قال الفعل الناقص: اسمحوا لي بالسؤال عن النقطة الأخيرة؟ فأنا لم أفهمها!؟

رد عليه الفعل الخامس: وضعت الآن أولى قدميك على جادة الصواب! فالسؤال مفتاح العلم والبحث والدراسة، أما أسلوب التهكم والهراء والهرطقة فهو أسلوب يوصلك إلى الضلال والضياع والفشل، يا بني! قصد الفعل الثاني بقوله أن نفرق بين ما يتعلق بالفاعل من أمور، وما يتعلق بالفعل من أمور، فمسألة وجودنا نحن الأفعال لها وجهان:

**الأول**: يتعلق بالفاعل ذاته، وهذا أمر يستحيل على الفعل أن يدركه، بل لا يهمه أصلاً.

**الثاني**: يتعلق بالفعل ذاته، وهذا أمر يدركه الفعل من خلال إخبار الفاعل له، أو من تفاعل الفعل – إن كان له صفة الوعي– مع ذاته والواقع، فيصل إلى الوظيفة التي وُجِدَ من أجلها.

الفعل الرابع: لنتابع عملية الحوار والسبر والتقسيم.

الفعل الأول: من خلال ما وصلنا إليه من أفكار يظهر لنا مفهوم الغيب من وجهين:

**أ – غيب يتعلق بصفات الفاعل وذاته.**

**ب– غيب يتعلق بأفعال الفاعل في الواقع.**

الفعل الثاني: **مفهوم الغيب الذي يتعلق بالفاعل يستحيل اختراقه ودراسته لأنه انتقال من مستوى الفعل الذي نعيش فيه ويحكمنا إلى مستوى الفاعل وصفاته**، وهو لا يخضع لذات مواصفات الفعل أو معاييره، بينما يخضع مفهوم الغيب الذي يتعلق بالفعل لمعايير ومواصفات الفعل الذي نحن جزء منه، وبالتالي يخضع للدراسة ويمكن اختراقه، وما كان غيباً يصير في عالم الشهادة.

الفعل الثالث: إذاً؛ **الفعل لا يمكن له أن يحيط علماً ومعرفة بكل أفعال الفاعل**، وذلك لأنه جزء من الأفعال ذاتها!.

الفعل الناقص: إن الأمر يزداد غموضاً، كيف يستحيل على الفعل أن يدرك الفاعل، ومع ذلك يُصدق الفعل بوجود الفاعل ضرورة؟

الفعل الرابع: يا بُني! إن الفعل له وجود موضوعي مشاهد لا ينكره أحد، وهذا الفعل يستحيل وجوده دون فاعل سابق عنه في الوجود، ***ما يدل على أن وجود الفاعل أشد ثبوتاً من الفعل ذاته رغم غياب ذات الفاعل عن الإدراك أو التصور، وظهور الفعل***؛ مع قصور صفات الفعل عن صفات الفاعل التي أدت إلى استحالة إدراك الفعل لصفات الفاعل.

الفعل الخامس: **لذا؛ كان الغيب مفهوماً علمياً يفرضه مفهوم الشهادة.**

الفعل الناقص: كيف يكون ذلك؟

الفعل الخامس: يا بني! ارتق بفكرك واستحضر الأفكار التي ذكرناها آنفاً؟ ألم نقل منذ قليل إن الفعل له وجود موضوعي مشاهد، وهذا الفعل يحتاج إلى فاعل، **لأن الفعل لا بد له من فاعل ضرورة، والفاعل بالنسبة إلى الفعل هو غيب لا يخضع لذات مقاييس ومواصفات الفعل ذاته، ما يؤكد أن الغيب أساس لعالم الشهادة، وعالم الشهادة دليل على وجود الغيب، ومن هذا الوجه صار مفهوم الغيب مفهوماً علمياً نتعامل معه بثقة من خلال عالم الشهادة، والغيب أوسع من عالم الشهادة بالنسبة للفعل الذي هو جزء من عالم الشهادة.**

الفعل الناقص: هل يمكن أن يكون الفاعل الذي قام بفعلنا أيضاً هو فعل لغيره؟

الفعل الثالث: إنك تُعيد صياغة الأسئلة بصورة جديدة، لقد ذكرنا لك سابقاً أنه **يستحيل أن يجتمع أو يندمج الفاعل مع فعله حيث يصيران واحداً، لأن ذلك يترتب عليه الهلاك والفناء لكليهما**، فما ينبغي أن يصير الفاعل فعلاً، ولا أن يصير الفعل فاعلاً.

انظر مثلاً لجملة: درس **زيد** الكتاب. فلا يمكن لفعل (درس) أن يصير (زيداً )، ولا الفاعل ( زيد ) يمكن أن يصير فعل ( درس )، ***لابد من تغاير بين الفاعل وفعله، ولابد أن يسبق الفاعل فعله في الوجود ضرورة، بل محور الوجود هو للفاعل وليس للفعل***، ومفهوم وجود الفاعل كامن في داخل الفعل، فمجرد أن يتحرك الوعي والإدراك في الفعل، ويُدرك وجوده يكون قد أدرك وجود الفاعل

ضرورة لازمة لوجوده!، انظر كيف يتعلق فعل ( درس )، والمفعول به ( الدرس) بزيد الفاعل، **ولولا الفاعل لما ظهر الفعل ولا المفعول به!**،وبالتالي يكون نفي الفاعل أو الشك بوجوده هو ضرب من الجنون المطبق!، ونفي للوعي والإدراك عند الفعل نفسه، وبالتالي لا يصلح للنقاش أو الحوار، والإنسان الذي يناقش مفهوم وجود الفاعل أو يُشكك به، هو إنسان غير صادق مع نفسه، ويحاول أن ينقل هذا المرض إلى غيره.

{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }إبراهيم10

الفعل الناقص: لا أعتقد أنك أجبتني، فأنا أفترض استمرار وجود فعل دون فاعل قبله إلى ما لانهاية حيث يصير كل فعل هو فاعل لمن بعده، وفعل لمن قبله.

الفعل الأول: ***إنك بهذا الافتراض أسبغت الوجود على الفعل والمفعول به فقط، ونفيت الفاعل***، وهذا الافتراض يناقض حقيقة احتياج الفعل لفاعل في عملية إيجاده، وهذه الفرضية معروفة باسم التسلسل، وهي باطلة في الواقع، لأنها لو كانت حقاً لما كان ينبغي أن يقوم عالم الشهادة والغيب ابتداء، لأن محور الوجود هو الفاعل، ففرضية التسلسل يترتب عليها الهلاك والفناء للفعل والمفعول به بالمستوى ذاته إذا تم الدمج بينهما مع نفي الفاعل الأول، ويقتصر الوجود على فعل (درس)، والمفعول به (الكتاب) مع نفي الفاعل (زيد)، وذلك بصورة لانهاية لها، وهذا عبث وباطل عقلاً وواقعاً، وهذه تخيلات محلها الذهن فقط لا تصلح

للدراسة أو النقاش، والخوض فيها هو خوض في مستنقع من الهراء والوهم، وهو أشبه بقول أحدهم لآخر يريد أن يناقشه: تعال نفترض أننا لا نملك عقلاً ونتناقش؟! و لك أن تتصور طبيعة النقاش لو رضي الطرف الثاني بهذا الهراء والجنون.

الفعل الناقص: ماذا تقولون لمن يدَّعي أنه يملك برهان نفي على كل برهان إثبات للفاعل، فتصير ـ من حيث النتيجة ـ مسألتا نفي الفاعل وإثباته متساويتين، وتنتفي عنهما صفة العلمية ويصير القَبول والرفض مسألة شخصية وجدانية؟

الفعل الرابع: إن هذا الكلام هراء وهرطقة، **متى كان النفي يحتاج إلى برهان؟** فمن يحاول أن ينفي شيئاً فهو يصدق بوجوده مسبقاً في نفسه، وإلا لما احتاج إلى نفيه، **فمن المعلوم أن الإثبات يحتاج إلى برهان**، ولذلك يُقال: **إن كنت مُدَّعياً فالبينة**، بينما النفي هو أمر تحصيل حاصل في الواقع لا يحتاج إلى برهان. انظر مثلاً لمسألة وجود كائنات فضائية عاقلة خارج الأرض، لا نطلب من الذي ينفيها أن يأتي ببرهان على ذلك، وإنما نطلب البرهان ممن يُثبتها، وإذا لم يثبتها بالبرهان، تخضع لمعيار المستحيل والممكن، فإن كانت من الممكنات، يقف العلم منها بصورة حيادية لا ينفيها ولا يثبتها،ويترك ذلك للدراسة تمهيداً للحسم مع الزمن، ***وبرهان إثبات وجود أمر، هو ذاته برهان على نفي النفي، وبالتالي لا يصح البحث عن برهان لنفي برهان الإثبات،فهذا عمل اعتباطي، ونتيجته الفشل سلفاً لبطلان عمله ابتداءً.***

انظر مثلاً: للطارق الذي يقوم بالطرق على الباب. ففعل الطرق برهان على وجود الطارق ضرورة، وهذا البرهان في إثبات الفاعل، هو في ذات الوقت برهان على نفي نفي وجود الطارق، ومن هذا الوجه يقولون: ***نفي النفي إثبات***.

***فكل برهان إثبات يتضمن في بنيته نفي النفي، فكيف يمكن أن تأتي ببرهان لنفي الإثبات؟*** بمعنى آخر، كيف يمكن أن تنفي وجود الطارق(الفاعل) مع استمرار الطرق(الفعل)!؟ فهذا هراء لا قيمة له أبداً.

**والتصديق غير الإتباع**، فالتصديق يفرض ذاته على العقل نتيجة البرهان، فهو موقف علمي لا يستطيع العقل نفيه في قرارة ذاته، بينما الإتباع أمر شخصي يتعلق بالإرادة والحرية، ومن هذا الوجه كان الإيمان متعلقاً بالحرية، **والإيمان هو تصديق زائد إتباع**، ومجرد التصديق وحده لا يُسمى إيماناً قط.

**لذا؛ كانت الحرية للإيمان؛ لا للتصديق والإثبات**؛ لأن التصديق أمر متعلق بالعقل، والعقل لا يملك القدرة على نفي تصديق الأمر الثابت؛ مثل مفهوم واحد زائد واحد يساوي اثنين، ولكن يملك الإنسان بإرادته أن يكفر أو يُكَذِّبَ ذلك الحكم العقلي بسلوكه القولي أو الفعلي، ومن هذا الوجه صحت المقولة التي تقول:**التصديق بوجود الله** موقف عقلي فطري لازم، **والإيمان به** موقف أخلاقي. وبالتالي فالمفهومين لا يخضعان لعملية البرهنة عليهما، وكلاهما موقف شخصي لا يتناولهما العلم دراسة.

{**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ** إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً }الكهف29

الفعل الناقص: هل يمكن أن يتعدّد وجود الفاعلين؟

الفعل الثاني: **إن سؤالك في حد ذاته يتضمن تصديق بوجود الفاعل الأول ضرورة، ولكن تشك في وجود الآخر سواء أكان واحداً أم مجموعة!، فعليك بما هو ثابت، وأعرض عن أوهامك الذهنية لأنها افتراضات غير حقيقية، ومن نسج خيالك تحاول أن تثبتها أو تنفيها، وهذا ليس موقفاً علمياً**، وأنت مُطالب بالبرهان على التعددية لمقام الإلوهية، لأن البَيِّنة على المدَّعي، وبينما تأت بالبرهان التزم بتوحيد الله، ومع ذلك؛ إنّ تَعَدُّد الفاعلين أمر مرتبط بتعدد الفعل، فإن كانت الأفعال متعددة فلاشك أن الفاعلين متعددون بعدد الأفعال.

الفعل الناقص: إن الأفعال في الواقع متعددة كما ترون، مما يؤكد تعدد الفاعلين.

الفعل الأول: يا لك من سطحي الفهم، متسرع الحكم. لقد قصد بقوله تعدد الأفعال، تعدد النظام الذي يحكم الفعل، وليس تعدد صور الفعل، **فالفعل بصوره الكثيرة محكوم بنظام واحد من الذرة إلى المجرة، وهذا برهان على أحدية الفاعل.**

الفعل الناقص: ألا يحتمل أن يكون هناك وجود آخر، ونظام آخر له فاعل غير فاعلنا؟

الفعل الخامس: ***إنك تناقش الآن أوهاماً في ذهنك، بينما نناقش وجوداً موضوعياً مشاهداً ونحن جزء منه، وفي هذا الوجود الموضوعي لا يوجد إلا نظام واحد يدل على أحدية الفاعل بالنسبة لنظامنا ووجودنا، أما افتراض وجود عالم آخر ونظام آخر، وبالتالي فاعل آخر، فهذه أوهام لا تخضع***

***للنقاش، أو الدراسة أبداً، فالدراسة مرتبطة بعالم الشهادة للوصول إلى عالم الغيب.***

الفعل الثاني: عود على بدء. هل يحتاج الفاعل إلى قيامه بالفعل، بمعنى آخر، هل يصدر الفعل من الفاعل ضرورة أو اختياراً؟

الفعل الثالث: إن ذلك متعلق بصفة الفاعل من كونه فاعلاً ذاتاً أم فاعلاً اكتساباً، بمعنى أن الفاعل الذي تتوقف حياته على فعله، فهو يصدر منه ضرورة لاستمرار حياته مثل فعل الطعام والشراب بالنسبة للإنسان، **ويصير الإنسان فاعلاً اكتساباً**، وليس ذاتاً.

أما إذا كان الفعل يصدر من الفاعل مع استغناء الفاعل عنه في استمرار حياته، ووجوده، فهو لا شك يصدر اختياراً، وإرادة، وليس ضرورة، **ويكون فاعلاً ذاتاً، لا اكتساباً.**

الفعل الناقص: لماذا يُسمّى فاعلاً إذا لم يكن له فعل في الواقع.

الفعل الرابع: إن تسمية الفاعل ظهرت لحظة قيامه بالفعل، وقبل حدوث الفعل لا وجود لكلمة الفاعل، وإنما الوجود لمقومات الفاعل التي هي الحياة،والإرادة والقدرة، والقيومية والصمدية، والعلم والحكمة، وما شابه ذلك من صفات ذاتية، وعندما قام بالفعل ظهرت صفات فعلية له مثل الخالق، والرازق، والمحي، والمميت...الخ.

الفعل الخامس: ***وصلنا الآن إلى أن وجود الفاعل الأول لا يُبَرْهَن على وجوده، وذلك لأنه أكبر حقيقة، وهو برهان على الوجود، ومفهوم وجوده قائم في أنفسنا بداهة وفطرة،وأفعاله أدلة على أسمائه، وهو ليس كمثله شيء، ولا يخضع لمقاييسنا أو مواصفاتنا، ويصدر منه الفعل اختياراً لا***

***ضرورة، و مسألة وجوده أشد وأحق إثباتاً من وجودنا نحن، لأن الفعل لابد له من فاعل وجوباً، والفاعل سابق في الوجود عن فعله ضرورة، والوجود الموضوعي يحكمه نظام واحد من الذرة إلى المجرة، ما يؤكد على أحدية الفاعل الأول، ووصلنا أيضاً إلى أن الفعل لايدرك فاعلَه، ولا يدرك مقاصده، بل ولا يدرك كل أفعاله، لأن الفعل يعيش في عالم الشهادة، ويتعامل مع عالم الغيب بناء عليه، ومفهوم الغيب هو مفهوم علمي، وديني لابد منه، فنحن نعيش في عالم لا مرئي، وما نراه أقل من القليل.***

**لذا؛ ينبغي على الفعل أن يلزم حدّه، ويعرف قَدر نفسه فلا يطلب المحال، ولا يُنصب نفسه حكماً على فاعله يريد أن يعرف كل شيء عنه، وعن مقاصد أفعاله، وينبغي أن يدرك الفعل عجزه، لأن العجز عن الإدراك إدراك، وهذا الإدراك من مقومات الإيمان بالفاعل الأول، ومن الخطأ استخدام هذا العجز لإضعاف الإيمان بالفاعل الأول، وإن حصل ذلك يكون الإنسان قد وقع بالهراء والسفسطة، ويكون مثله مثل من عجز عن معرفة من يقوم بالطرق على الباب، فقال: لا يوجد طارق أصلاً!.وهذا يلزمه إعادة الدراسة مرة ثانية، وتحديث طريقة تفكيره.**

**الفعل الناقص**:ما تقولون بمن يرفض هذه الطريقة في إثبات الفاعل الأول، ويطالب بدراسة الأمر من خلال ما يحدث من كوارث ومصائب وظلم وطغيان على أرض الواقع، ويتساءل أين الفاعل الأول العادل الحكيم من ذلك؟ ولماذا لا يتدخل بنفسه ويضع حداً للظلم والبؤس الإنساني؟ ويصل من خلال ذلك إلى نفي وجود الفاعل أصلاً، ويضرب على ذلك مثلاً الإنسان الذي يطرق باباً ولا يُفتح له.فيصل إلى قناعة أنه لا يوجد أحد خلف هذا الباب.

**الفعل الرابع**:إن الجواب على ما ذكرت ورد فيما سبق من الحوار، ولكنك لم تنتبه إلى ربط الأفكار مع بعضها كعادة من في قلوبهم زيغ، لا يسمعون إلاّ صوتهم.

ومع ذلك سوف أختصر لك الجواب:

أيها الفعل الناقص اعلم! أن البرهان لا يخضع للتصويت وهوى الآخر في أن يقبله أو يرفضه، البرهان حيادي، ويفرض ذاته بذاته على الفكرة، انظر إلى برهان وجود فاعل الطرق على الباب من حيث وقوع الحواس أو أحدها على أثر الفاعل( الطرق) مما يؤدي عند السامع العاقل ضرورة إلى وجود الفاعل الطارق، ويصل إلى ذلك بنفسه دون أن يجبره أحد على البرهان، فتخيل لو أن هذا السامع للطرق قال:لا أقبل بهذا البرهان **الذي حصل في نفسي على وجود الفاعل**، وأريد منكم أن تُثبتوا لي الفاعل من غير هذا الوجه؟ فسوف يكون جواب السامعين الآخرين قم انظر بنفسك للفاعل إن كان يمكن رؤيته، وانتفاء إمكانية رؤيته ليس برهاناً على نفي وجوده، لأننا نصدق بكثير من الأمور دون رؤيتها،ونتعامل بثقة معها وبصورة علمية دون أن يخطر في أذهاننا أي شك في وجودها.وإن استمر في رفض البرهان الثابت في نفسه، فهذا ينم عن مشكلة خاصة به، تؤكد أنه يعاني من مرض في تفكيره نتيجة معاناة نفسية يعيشها في أعماقه، وهو في ذلك بين أمرين: إما أن يكون خبيث النية يعلم الحق وينكره، أو ساذجاً تنقصه إمكانات الرؤية الفكرية الحاسمة.

أما مسألة نفي وجود الفاعل لعدم معرفة مقاصد أفعاله، أو ما ينتج عنها من مصائب، فهذا موقف طفولي في التعامل مع الأحداث!، انظر كيف يتعامل

المجتمع مع الجنايات والجرائم التي تحدث في الواقع، يبحث عن فاعلها ليعاقبه، ولا يخطر في ذهنه نفي الفاعل لها، فمسألة صلاح الأعمال، أو فسادها لا علاقة لها بثبوت الفاعل أو نفيه، لأن المسألة متعلقة بالحكم على الفعل، وليس على وجود الفاعل.

ومسألة وجود الفاعل الأول ثابتة فطرة وبداهة، والوجود كله يدل عليه، ووجوده يقتضي حكماً ثبوت صفات العدل والحكمة والقدرة والإرادة المطلقة كضرورات لازمة لألوهيته، ونفي معرفة مقاصد أفعاله لا يصح عقلاً وعلماً أن ينفي وجوده، لأن المسألتين منفصلتان عن بعضهما تماماً، ومن الطبيعي ألا يُحيط الفعل ( الإنسان) بمقاصد الفاعل الأول(الخالق المدبر)، كما أن الفاعل غير ملزم بتفسير مقاصد أفعاله للفعل، لأنه فاعل بإرادة كاملة وعلم مطلق{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} الأنبياء23{ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }هود107، ونفي وجود الفاعل لا يؤثر على الفاعل نفسه، وإنما يؤثر على الفعل ذاته ونمط حياته وسلوكه، إذ سوف يُصاب بالاضطراب والقلق نتيجة قطع صلته مع فاعله.

فنظام الوجود يضعه الفاعل، والفعل يخضع له طوعاً أو كرهاً، ولا قيمة لاعتراضه على النظام، فنظام الحياة والموت يقوم على قانون الثنائية والزوجية في الأمور(حق/باطل، عدل/ظلم، خير/ شر) والفعل–الإنسان– جزء من هذا النظام ليس له إرادة في تغيير النظام أو تعديله أو الاعتراض عليه، ومهمته أن ينسجم مع النظام ويسير وفقه، وينفذ ما يطلب الفاعل منه {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } (الملك2)، فالدنيا دار ابتلاء وامتحان، ومادة الامتحان هي مهمة الخلافة في الأرض بالحق والخير والعدل والمحبة وعمرانها، {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } البقرة

(30)،**والتدخل الإلهي المباشر في منع الظلم أو الشر نقض وإبطال لأصل الامتحان والابتلاء للإنسان، بل إنقاص من قيمة الإنسان وفضله، وتقليل من شأنه، وإلغاء مقام خلافته وتقييد حريته، فالوضع الراهن على ما هو عليه من صراع بين الحق والباطل هو منتهى التكريم للإنسان كجنس وأعلى درجات تفضيله على سائر المخلوقات.**

**وغير ذلك يُعد ترويجاً لفلسفة قدرية جبرية جديدة، تدمغ الإنسان بهوان العجز أمام قدر لا يرحم، فيمتنع عن الاختيار بحجة الإجبار.**

أما استخدام عدم فتح باب البيت المطروق، كدليل على نفي وجود أحد داخله، فهذا باطل في الواقع المشاهد، فكثيراً ما نطرق باب أحدهم ولا يفتح لنا، ونعلم بعد ذلك أنه كان في البيت، فالمثل ساقط كبرهان لنفي الفاعل، لاسيما أن الفاعل لا يخضع لإرادتنا، أو رغباتنا، أو هوانا!.

الفعل الناقص: **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.**

**{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }**آل عمران18.

## الله

## رب الناس

الشباب مستقبل الأمة، والمجتمع الشاب هو الذي ينعم بنسبة كبيرة من الشباب، وبُنية المجتمعات العربية والإسلامية لا تعاني من قلة عدد الشباب، بل تفضل بشبابها المجتمعات الأوربية التي تعاني من ارتفاع نسبة المسنين بصورة ملحوظة ومتعاظمة، الأمر الذي يهدد مستقبل أوروبا بخطر جدي، وأدرك مسؤولوها الخطب الداهم فعملوا على استقطاب المهاجرين الشباب درءاً لشبح شيخوخة القدرة البشرية.

والمجتمع الفتي الذي يربض على طاقة شبابية هائلة مسؤول عن إعداد المسارب التي تفجر هذه الطاقات وتزجها في ميادين العلم والنهضة كافة!.

وبما أن الإنسان كائن ثقافي يكيف سلوكه حسب المفاهيم التي يحملها، تبوأت الثقافة مكانتها السامية كمحرك للنهضة، وقد وُصفت الثقافة بعشرات التعاريف، وكل تعريف يخدم وجهة نظر صاحبه، والذي أراه صواباً هو:

**الثقافة: هي تفاعل الإنسان بصورة علمية مع بيئته الاجتماعية والطبيعية بهدف الوصول إلى إدراك حقائق علاقة الإنسان مع الكون والحياة والموت، وما قبل الحياة وما بعد الحياة، وعلاقة هؤلاء جميعاً ببعضهم، وإرساء قواعد النهضة على هذه الأسس الراسخة.**

ومعرفة هذه العلاقات الفكرية هي الجواب الشافي على الأسئلة الفطرية الثلاثة (**كيف، لماذا، أين** ) التي تؤرق الإنسان، وخاصة في مرحلة الشباب. وهذه الثقافة هي التي تميز هوية المجتمع عن غيره من المجتمعات.

**لذا؛ كانت الثقافة خاصة، والعلم عام.**

والإنسان منذ بدء الوعي وَجد أجوبة هذه الأسئلة الفطرية من خلال تفاعله الاجتماعي والطبيعي في الواقع، وكان كل مجتمع يُعيد هذا التفاعل الثقافي لفهم وتحديد هذه العلاقات الفكرية والتأكد من درجة موافقتها لواقعه، وصارت هذه الأسئلة الثقافية تسمى بالعقدة الكبرى، وأشبعها فلاسفة كل مجتمع دراسة وتحليلاً. فكانت الدراسات تتراكم مع الزمن، وكل دراسة لاحقة تعدِّل السابقة من جانب وتوافقها من جانب آخر، إلى أن وصلت معظم المجتمعات الإنسانية إلى جواب واحد نستعرضه فيما يلي:

**س1- كيف وجدنا؟**

**ج-** قالوا: لابد من فاعل أول قائم بنفسه مستغن عن غيره يصدر الفعل منه اختياراً وليس احتياجاً، وهذا الفاعل الأول لا تنطبق عليه نظرية الدور[1]، ولا

---

[1] **نظرية الدور** يقصد بها حاجة الأول للثاني في وجوده، وحاجة الثاني للأول، والنتيجة هي الهلاك والفناء للاثنين معاً ضرورة عقلية.

نظرية التسلسل[2] لبطلانهما في الواقع، **وأثبت علماء الفيزياء أن الكون (الفعل) له بداية ونهاية، وذلك من خلال نشوء الكون على قانون التناقض الداخلي في بنية الشيء الذي يؤدي في النهاية إلى هلاكه لا محالة،** من هنا قال بعض العلماء: إن الكون يحمل في ذاته بذور فنائه، فالكون فعل له بداية ويسير إلى نهايته كنظام وصورة، لا كمادة وطاقة، وبالتالي يحتاج ضرورة إلى فاعل من غير صفاته يكون أساساً ومصدراً للوجود، وهذا الفاعل الأزلي ( الأول والآخر ) يملك صفة التقدير أولاً، وصفتي الإيجاد، والإمداد، وهو مازال قائماً فوق فعله يمده بالطاقة والحياة، يدبر أمر هذا المشروع المتنامي، وبالتالي فنحن مخلوقون لخالق عظيم. {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (إبراهيم 10)

والتقدير ضرورة فلسفية وعلمية لازمة تسبق الإيجاد رفعاً للموجود فوق شبهة الوجود الاعتباطي.

**س2– لماذا وجدنا؟**

**ج–** نظر الإنسان إلى حياته الاجتماعية فشاهد أن المجتمع الإنساني قائم على قانون التناقض الحكمي المعياري الثنائي، فكل علاقاته محكومة بهذا القانون

---

(2) **نظرية التسلسل** يقصد بها استمرار وجود الفعل من فعل قبله إلى ما لانهاية، والنتيجة هي إثبات للفعل دون الفاعل، وهذا يقتضي الهلاك والفناء؛ لا الوجود.

الجدلي، فشاهد الظلم وشعر به في كيانه وحياته، فعلم أنه لابد من وجود العدل وتحقيقه على أرض الواقع، وكذلك الخير والشر، والصلاح والفساد.. الخ، وعند دراسة هذا الوضع الاجتماعي وصل الإنسان بمعرفته إلى أنه مسؤول عن ذلك الوضع لأن الظلم صدر من إنسان مثله، وبالتالي ينبغي عليه أن يدفع عن نفسه الظلم من خلال العمل على تطبيق العدل ليأخذ القانون الاجتماعي مجراه من خلال الصراع التناقضي الثنائي بين العدل والظلم، والخير والشر، والصلاح والفساد، وعندما شاهد الإنسان أن الموت نهاية حتمية لحياته القائمة على قانون التناقض الثنائي المعياري، آمن أنه وُجِدَ في هذه الحياة الدنيا لتحقيق العدل، والخير، والصلاح، ومحاربة الظلم، والشر، والفساد.

**إذاً؛ الكائن الإنساني كائن مسؤول، ويعيش في دار المسؤولية، وهي الحياة الدنيا دار الابتلاء والامتحان، ويكون الصراع بين الإنسان الصالح، والشيطان(الإنسان الشرير)،وليس بين الرحمن، والشيطان، وبالتالي أدوات الصراع متاحة للطرفين على أرض الواقع.**

ومع ذلك العلم الذي يمكن للإنسان أن يصله من خلال تفاعله مع الواقع والمجتمع، لم يتركه الخالق الرحيم ليتخبط في امتحانه، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، يُعلِّمون الناس، ويُخبرونهم لماذا وجدوا؟

قال الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } (الملك2)، وقال: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (الذاريات 56)، وكلمة العبادة تدل في الواقع على صورتين ( الشدة واللين ) مما يعني أن الله خلق

الناس ليمارسوا حريتهم كاملة في اختيار الإيمان أو الكفر كما قال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا } (الكهف29).

**وهكذا يتجلى صرح العدل الرباني المطلق، الذي اقتضى وجود الدينونة والحساب، ومنظومة الثواب والعقاب، الصرح القائم على الضمانة الخالقية التي تكفل الحق التام للمخلوق باختيار السبيل الذي يريده بموجب إرادته الحرة المنعتقة من التأثيرات المخلة بالعدالة.**

**س3– أين نذهب بعد الموت؟**

ج– عندما علم الإنسان بوجود الخالق المدبر، وأدرك أنه أوجده في الحياة الدنيا للابتلاء وتنكب المسؤولية وعمران الأرض بالخير والعدل والصلاح، وأن الحياة الدنيا يحكمها قانون التناقض الجدلي المعياري، وصل إلى حتمية وجود حياة بعد الموت خالية من التناقض الجدلي المعياري، قائمة على السلام والخير والمحبة بصورة أبدية، ووصل أيضاً إلى أن نفس الإنسان كائنة سرمدية لا تفنى، ولا تهلك مثل الجسم الذي يتحول إلى عناصره الأولى، وأن النفس سوف تُبعث في جسم يُخلق لها وفق السنن الجديدة لتحل به وتستخدمه مرة أخرى، **لأن الوجود الحقيقي للإنسان إنما هو وجود نفسه، وليس جسمه، وصدق من قال:**

***انهض بنفسك واستكمل فضائلها.... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان***

و أنزل الخالق المدبر على رسله كتباً تضمنت الأجوبة الفطرية والعلمية للأسئلة الثلاثة الكبرى (كيف، لماذا، أين) رحمةً بعباده وتحقيقاً للعدل وقطعاً للحجة والبرهان لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل.

**أيها الشباب! إنّ هذه الأجوبة الثلاثة للعقدة الكبرى صارت قاعدة وقيادة فكرية لنظام الإنسان والمجتمع، وبتطبيقها ينهض المجتمع من وهدة الانحطاط والتخلف والذل.**

والمقياس لصواب هذه الأجوبة الثلاثة هو:

**1- مطابقة الأفكار للواقع وقيام البرهان عليها.**

**2- موافقة الأفكار للفطرة الإنسانية.**

**3- سريان الأمن والاطمئنان في المجتمع نتيجة اعتمادها.**

هذه القاعدة الفكرية هي أساس دعوة الأنبياء والرسل كلهم، لا تخضع لعملية التطور والنسبية، لأنها حقيقة ثابتة.

**أيها الشباب! أريد أن أصل إلى أن الله الخالق المدبر هو أحد صمد عند الجميع، فلا يوجد في تاريخ الإنسان من ادَّعى وجود خالق آخر غير الله {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}** العنكبوت61

والشرك حصل بمقام الربوبية، **وهذا الإله العظيم قد أنزل ديناً واحداً بدأ بنوح** عليه السلام **واستمر في حركته إلى إبراهيم وموسى وعيسى ليصل إلى محمد صلوات الله عليهم جميعاً، وهذا الدين سماه الخالق الإسلام ابتداءً منذ**

**نزوله**{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ} (آل عمران 19) {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }آل عمران67 ، {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } (البقرة 132)، فالقاعدة الفكرية واحدة، وهي **الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح** {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة 62).

بينما أخذ الشرع محورين:

**المحور الأول**: شرع له صفة الثبات ابتداء، وذلك لاتصافه بالإنسانية والعالمية، فأخذت هذه الأحكام صفة **الشرع الإسلامي** و كانت تنزل تِباعاً على كل رسول حسب معطيات واقعه، وتتراكم بناءً من رسول إلى رسول، إلى أن وصلت إلى آخر رسول، فتم ختم النبوة لاكتمال الرسالة.

**المحور الثاني**: شرع كان ينزل على الرسل بجانب الشرع الإسلامي، وهي أحكام مرتبطة بظروف مرحلية اجتماعية خاصة بقوم الرسول، فهي **شرع قومي عيني تاريخي، يُعدَّلُ ويُنسَخُ عند بعث رسول جديد.**

واستمرت **حركة الشرع بمحوريه الإسلامي والتاريخي**، الأول يتراكم بناءً ويكبر مع الزمن، والآخر يتقلص وينكمش مع الزمن، إلى أن أراد الخالق المدبر إكمال نزول الشرع الإسلامي وذلك ببعث النبي محمد، فأنزل القرآن وأعاد فيه كل ما نزل من الشرع الإسلامي سابقاً، وأكمله بناءً، ونسخ كل الشرع القومي العيني

حين لم ينزله مرة ثانية في القرآن. **فصار القرآن هو الكتاب الجامع للشرع الإسلامي** { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } ( المائدة3 )، بينما ضمت الكتب السابقة أجزاء من الشرع الإسلامي وأجزاء من الشرع القومي العيني.

**وهذا يوصلنا إلى أن** دين الله هو الإسلام، ولا يوجد ما يُسمى بتعدد الأديان، وبالتالي من الخطأ أن تكون الدعوة إلى تقارب الأديان، وإنما ينبغي أن تكون الدعوة إلى التعايش، والتعارف، والتعاون،{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } ( الحجرات13) **فالصراع بين الناس ليس دينياً، وإنما هو صراع سياسي واقتصادي**، فالإسلام دين أتباع الأنبياء والرسل جميعاً أما شرعهم فهو مؤلف من قسمين:

**الأول: أحكام لها صفة الشرع الإسلامي ( إنساني عالمي ).**

**الثاني: أحكام لها صفة الشرع القومي العيني وهي المعنية بالنسخ والتعديل، بخلاف الشرع الإسلامي فلا يصح نسخه أو تعديله أبداً، لأنه إنساني عالمي ابتداءً، ولذلك نجد أن النسخ كان دائماً بين شرع سابق وآخر لاحق، ولم يحصل النسخ في شرع واحد أبداً.**

فدين الله الإسلام يضم تحت جناحيه أتباع الأنبياء والرسل جميعاً، والشرع الإسلامي قد اكتمل بناءً ورضيه الخالق للناس عموماً، والأمر أشبه ببناء ضخم مؤلف من عدة طوابق، فأساس البناء واحد ( الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل

الصالح )، والطوابق هي بمثابة المراحل التاريخية، وكل من يسكن في هذا البناء يعتمد على أساسه ويتقيد بنظامه بغض النظر عن الطابق الذي يقطنه، وله أن يختار طريقة معيشته في مسكنه على ألا يضر بأساس البناء، ومن هذا الوجه **ظهر نظام الثابت والمتغير**.

**فالنظام الثابت بين الناس هو التعايش، والتماسك، والنهضة، والنظام المتغير يقتصر على حياة الناس الخاصة ضمن محور النظام الثابت.**

**فمفهوم الله عند الناس جميعاً يدل على المحبة، والعدل، والسلام، والخير، والصلاح، والتعاون، والتعايش، ودين الله يجمعنا على المحبة، بخلاف عقيدة الناس التي تتسم بالظلم والفساد والجمود، والاختلاف بين الناس ليس اختلافاً في دين الله، وإنما اختلاف في دين الشيطان**، الذي يحاول أن يعرض فكره تحت دين الله ومن خلاله، ليخدع بسطاء الناس ويظنون أنه دين الله، **وتجري الحروب والويلات، وتسيل الدماء باسم الدين وهو منهم براء، لأن قادة الظلم والفساد يعلمون أن الذي يحرك الناس إنما هو الدين، والدين يحمل مفاهيم المحبة،والخير، والعدل، فلابد لهم من تحريف الدين وزرع بذور الحقد، والكره فيه، من خلال اغتيال حق الآخر في الحياة، ونفي رأيه، وحصر فكرة الصواب والفلاح في الدنيا واحتكارها؛ وفكرة الخلاص في الآخرة بفئة واحدة فقط لا غير**، ومحاربة الفكر والعلم ونشر الخرافة والتابعية للرجال، ليتمكن الفراعنة الجدد من استخدام الدين وَقوداً للحرب والطغيان، يحشدون الناس عليه، ويضربون المجتمعات الأخرى بهم لتحقيق المصالح الخفية المتمثلة بالاقتصاد والسياسة.

**فالحذر أيها الشباب من أن تنطلي عليكم هذه الخدعة** المميتة، فيستشري الخلاف والحقد والطائفية والعرقية بينكم، هذا الحقد الذي لا يأتلي يتضرم حتى يتم ضربكم ببعضكم فلا تقوم لكم قائمة في المستقبل. **فالرب واحد، والدين واحد، وشرعه الإسلامي نلتزم به كلنا**، ومن أراد الوقوف في شرعه عند مرحلة تاريخية معينة؛ فهذا شأنه، ولا ينفي عنه صفة الدين الإسلامي، فهو مثلنا، له ما لنا وعليه ما علينا، ويجب عليه أن يلتزم بالقانون الذي تبنته الدولة وفق ثقافة المجتمع.

أما تفسير قوله تعالى﴿ {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران 85) فهو أن الرفض يكون من الناس في الدنيا، لأن الإسلام دين العلم والفطرة، فمن الطبيعي أن يرفض عقلاء الناس أي دعوة تخالف العلم والفطرة، ويتم رفض الجاحد في الآخرة أيضاً، لأن الإنسان الذي يخالف العلم والفطرة، يكون قد اتخذ إلهه هواه وسلك طريق الإجرام.

{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ( المائدة 2).

## كيف نعرف أن القرآن وحي من الله

كثيراً ما يتساءل الشباب! كيف نثبت أن القرآن وحي من الله ﷻ، كما قال الآباء لنا، وكما ورد في التراث؟ ونحن لا نستطيع إدراك قوة بيانه أو بلاغته، أو طريقة نظمه للكلمات والجمل إذا كان برهانه الإعجاز اللساني، ونحن لسنا من العلماء حتى ندرك دقائق النظريات الكونية التي أشار إليها القرآن أو ذكرها صراحة، ولا نرضى بأن نتبع العلماء في هذه المسألة المصيرية بناء على الثقة، وخاصة أن القرآن خطاب لكل الناس، وهذا يقتضي أن يعرف كل الناس مصداقية وصواب نسبة القرآن إلى الوحي الإلهي!.

هذا التساؤل كامن في نفوس الناس عامة، ولا يجدون جواباً مقنعاً يجعلهم يؤمنون بصورة عقلية تبث الاطمئنان في قلوبهم.

وهذا السؤال حق مشروع، يطرحه كل تابع ومتبوع.

أيها الشباب! أقول لكم بكل بساطة إن هذا القرآن أمام احتمالين لا ثالث لهما، أولهما: أن **يكون القرآن وحياً من الله** ﷻ.

والآخر: أن **يكون من تأليف الإنسان** أيٍّ كان.

ومعرفة ذلك على درجة من السهولة، وهو أمر أدرجه الله تبارك وتعالى ضمن مدارك الناس، وذلك لإقامة الحجة عليهم، وتحقيق العدل الإلهي،ويتأتى ذلك من خلال مجموعة أسئلة يناقشونها في أنفسهم، أهمها:

1- هل يدعو القرآن إلى العبودية والخضوع لإنسان مثلنا؟

2- أيأمر بالظلم والاستبداد ، أو بالعدل والمشاركة في الأمر؟

3- هل يحقق لنا إشباع غرائزنا وحاجاتنا النفسية والجسمية؟

4- هل دعوته عرقية، طائفية؟

5- هل يدعو إلى التوازن والصلاح على صعيد البيئة والمجتمع؟

6- هل يدعو إلى الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة؟

7- هل يفضي تطبيق شرعه إلى إحلال الأمن والسلام والسعادة؟

8- هل أوجد أجوبة للأسئلة الكبرى الثلاثة: ( كيف ، لماذا ، أين )بصورة علمية وعقلية موافقة للفطرة؟

9- هل أخباره مطابقة للحقيقة بأبعاده الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؟

10-هل يوافق محتواه العلم مهما تطور مع الزمن؟

11- هل يحقق مصلحة المجتمع والفرد؟

12- هل ثبت تناقضه للعلم أو الواقع مرة واحدة خلال الفترة الزمنية الطويلة؟

13- هل استطاع أحد أن يأتي بمثله خلال الفترة الزمنية السابقة رغم وجود التحدي والدافع؟

14- هل أصاب النص القرآني منذ بدايته إلى زمننا هذا أي تحريف أو تلاعب في مادته؟

15- هل يسمح بطاعة أحد خلاف الحق والعلم؟

16- هل هو منسجم ومتواصل مع الكتب الإلهية السابقة في خطوطها العريضة؟

17- السحر خداع أو إيقاع الأذى والشر بالناس، فهل القرآن سحر!؟

18- الشعر نظام خاص لصياغة الكلام ملتزم بقافية ووزن، فهل القرآن شعر؟

19- الهلوسة والهذيان مرض نفسي يصيب الإنسان، ويظهر من خلال اضطراب في سلوكه ومخالفته للواقع، وصدور ألفاظ لا معنى لها، فهل القرآن هلوسة و هذيان؟

20 - من الطبيعي أن يعزو الإنسان العمل العظيم لنفسه. فهل عزا النبي محمد القرآن لنفسه؟

21 - نزل القرآن مفرقاً خلال ثلاثة وعشرين عاماً وحافظ على مستوى قوة الأسلوب، وصدق أخباره، وتماسكه المنطقي والمعلوماتي، ومن المعلوم أن الإنسان يتغير ويتطور أسلوبه كلما تقدم العمر به، فهل أصاب النص القرآني أي تغير أو تعديل خلال مدة نزوله الطويلة؟

22- هل يسمح الشرع القرآني بنكاح الأم والأخت والبنت، والمحارم عامة!؟
23- هل يسمح بالقتل وسفك الدماء وانتهاك أعراض الناس؟
24- هل يسمح بأكل حقوق الناس وسرقتهم والكذب عليهم؟
25- هل يطلب من الناس زهق حياتهم أو الإضرار بها؟

إن إيجاد الجواب على مضمون هذه الأسئلة يوصل الإنسان إلى الحكم والقرار القطعي على مصدرية القرآن، **وهذه مهمة مناطة بك أيها القارئ العزيز**.

أما صفة الإكمال للدين بواسطة القرآن فقد تأتت بسبب وصول الإنسانية إلى سن الوعي وبداية الرشد،واكتمال اللسان العربي نظاماً، فاقتضى ذلك رفع الوصاية الإلهية المباشرة عن الناس، وتحميلهم مسؤولية قيادة أنفسهم وفق تعاليم القرآن العامة والكلية، مع إعطاء الإنسان حرية التحرك ضمن حدوده التشريعية، ومثل ذلك كمثل اكتمال أبجدية اللسان العربي، فهي من حيث عدد الأحرف قد اكتملت، ولا يمكن أن يزيد أحد عليها أي حرف، وذلك لاكتمالها بما يلبي حاجات ورغبات المجتمع الإنساني، ويملك الإنسان طيفاً واسعاً يتيح له استخدام الأحرف حسب ما يريد. معبراً عن كل ما يريد، ومثل ذلك أيضاً كمثل النظام العشري للأعداد، فهو نظام ثابت مع قدرة الإنسان على استخدامه بصورة لا متناهية، صعوداً ونزولاً في شؤون حياته كلها.

والشرع القرآني شرع حدودي كلي ثابت، ترك للإنسان إمكانية التحرك ضمن حدوده بصورة لا متناهية، ليختار الصورة التي تناسب واقعه الزمكاني، ولكل

مجتمع تفاعله الخاص مع القرآن ضمن حدوده، ( **ثبات المبنى والمفهوم، وتحرك الصورة والاستخدام**).

فصفة الإكمال للشرع الإلهي الذي نزل في القرآن ليست مسألة إيمانية فحسب، وإنما هي مسألة واقعية أيضاً، فمن يستطيع أن يملأ كأساً ممتلئاً بالماء أصلاً؟ وهكذا الشرع القرآني، فهو شرع حدودي كامل قد تناول كل ما يتعلق بالإنسان والمجتمع خلال الزمان والمكان، **ومن يستطع أن يأتي بشرع أحسن للناس فليفعل!.**

**أيها الشباب! هلمّوا إلى القرآن تفاعلاً وفاعلية، لا تدعوا أحداً ينصب نفسه وسيطاً بينكم وبين القرآن، لا للآبائية، ولا للأكثرية، ولا للزعامات، ولا لرجال الدين!.**

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ } (البقرة 170)

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (يونس 15)

## مفهوم كلمة

## الله

كلمة (الله) كلمة عربية أصيلة، وتفخيم حرف (لَ) أثناء اللفظ أسلوب عربي قديم مثله مثل طريقة لفظ مجموعة من الأحرف الأخرى التي درجت في لهجات القبائل العربية، وعندما استخدم القرآن هذا اللفظ المفخم لحرف (ل) حفظه من الاندثار وأعطاه مصداقية في الواقع، كون النص القرآني أوصله الرسول محمد ﷺ بصيغة صوتية أولاً، وخطية ثانياً. ولمعرفة دلالة كلمة (الله) ينبغي أن نرجع إلى بداية ظهور هذا اللفظ في المفهوم الثقافي العربي.

و قد أشار القرآن إلى ذلك عندما استخدم كلمة (إسرائيل) وهي كلمة عربية أصيلة تدل على مرحلة من مراحل تطور اللسان العربي، وكان ذلك متحققاً باللهجة العبرية الآرامية التي هي أسلوب لفظي للسان العربي بصورة بدائية لم تتطور بل ابتعدت عن مركز ومحور اللسان الأم، و نشاهد هذا التداخل في أصول المفردات والاشتقاقات بين اللهجة العبرية واللسان العربي الأم.

فماذا تعني كلمة (إسرائيل)؟

إن كلمة (إسرائيل) مؤلفة من كلمتين:

**أولاهما**: (**إسرا**) من الإسراء وليس من الأَسر كما حاول اليهود نشرها في ثقافتهم بقولهم: ( إن النبي يعقوب قاتل الله ﷻ فصرعه وأسره ولم يتركه حتى أخذ منه عهداً بالبركة والاصطفاء له ولذريته، فسُمِّي إسرائيل)، وكلمة ( الإسراء) تدل على حركة متصلة غير محددة مكررة وذلك أعطاها بُعد الاستمرار وتنتهي بامتداد واستقامة الذي هو دلالة صوت (آ). ومجموعة الأصوات بهذا الترتيب لكلمة (إسرا) صارت تدل على الحركة والبحث عن الطريق الذي يوصل إلى الهدف والوصول إليه والتمسك به باستقامة والسير فيه بامتداد. ومن هذا التحليل لكلمة ( إِسرا ) قالوا: إنها تدل على الكشف والإزالة مثل: **سرى المرض من جسم المريض**. وقالوا: إنها تدل على السير والتداخل مثل: **سرى المرض في جسم المريض**. ومنه قولهم: **الأمراض السارية**. إلى غير ذلك من الأقوال. والملاحظ في هذه الصور الدلالية لكلمة (سرى) أنها صور استخدام وحدوث لدلالة الكلمة في الواقع وليس دلالتها الأصلية. لذلك نلاحظ أن دلالة كلمة (سرى) قد تحققت في الصورتين بطريقة خروج المرض من جسم المريض، وبطريقة دخوله إلى جسم

المريض. فدلالة كلمة (سرى) واحدة من حيث الأصل وتظهر بصور مختلفة في الواقع.

أما الجزء الآخر لكلمة (إسرائيل) فهو:

**إيل**: وتدل على مفهوم وتصور الإنسان العربي الأول للخالق العظيم.

وباجتماعها مع كلمة (إسرا ) صار المفهوم هو الباحث عن طريق التوحيد والوصول إليه والتمسك به إيماناً. وهذا التحليل ترجم إلى مفهوم كلي من باب تفسير الشيء بمآله فقالوا: إن كلمة ( إسرائيل ) كلمة تدل على ( عبد الله ) في النهاية. وهذا التفسير مقبول للتعليم ولعامة الناس وليس للباحثين والعلماء.

لذا؛ اقتضى التنبيه من مخاطر اختراق اليهود لثقافتنا ومحاولتهم تثبيت دلالة كلمة (إسرائيل) على أنها (أَسرُ الله) والصواب ما ذكرناه من أن ( إسرائيل) تدل من حيث المآل على ( الباحث عن التوحيد والوصول إلى الله وعبادته ) وكلمة ( إسرا ) من الإسراء وليس من الأسر. كما في قوله تعالى{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } الإسراء (1)، والإسراء يمكن أن يكون في النهار أو الليل بدليل مجيء كلمة الليل في النص.

وينبغي أخذ العلم والانتباه لمسألة جوهرية وهي أن إسرائيل ليس النبي يعقوب ﷺ، ويجب التفريق بين بني إسرائيل، وذرية يعقوب، والطائفة الإرهابية اليهودية الملعونة عبر التاريخ الإنساني!،[1] وهذا التفريق يترتب عليه إعادة ترتيب أوراقنا التاريخية والثقافية.

وعود على بدء.

كلمة (إيل) ظهرت في الثقافة العربية على لسان بني إسرائيل لتدل على الخالق المدبر، وبالذات على صفة (الأول) المستمر في وجوده وهيمنته على أفعاله بصورة مباشرة. وهذا مضمون دلالة تحليل صوت حرف (ل) ومع تطور المجتمع الإنساني وارتقاء تفكيره وصل إلى مفهوم صفة (الآخر) التي تدل على بقاء واستمرار الأول على ما هو عليه فأضاف صوت حرف (ل) لكلمة ( إيل) مع حذف الياء فصارت (إلل) ولفظها بصورة مفخمة، ومع استمرار الارتقاء بالتفكير والابتعاد عن التجسيم، والوصول إلى الفكر المجرد، والتعامل مع الأفكار، وليس مع الأشياء،أو الأشخاص وصل المجتمع الإنساني إلى مفهوم الإيمان بالغيب مع تأثير ذلك على الحاضر، والتعامل معه كذلك، فأضاف صوت حرف ( هـ ) لكلمة

[1] راجع كتابي ( اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي).

( إلـل) فـصارت (إلله) لتـضيف إلى مفهـوم ( الأول والآخـر ) مفهـوم (الظـاهر والباطن ) وهو دلالة صوت (هـ ) المتأرجح بصورة خفيفة ويسمى حرفاً غيبياً كونه يصدر من الجوف.

وظهر ذلك من خلال غياب نفس الله عن التصور، والتشيؤ، والتمثل، والتشبه والتجسم، وظهور صفاته الفعلية بصورة مشاهدة في الواقع لتثبت وجوده الذاتي الموضوعي، ومع استمرار استخدام كلمة ( إلله ) تم تبديل حركة الهمزة من الكسر إلى الفتح لسهولة النطق، والعرب تميل فطرة في أسلوب كلامها إلى السهولة واللين في استخدام النطق بالكلام. وبناء على ما ذكرت لا يوجد (أل) تعريف في كلمة (الله) لأنها من أصل الكلمة وليست مضافة إليها، ولو كانت مضافة إليها لصح إزالتها دون تغير المعنى سوى نقله من حالة المعرفة إلى النكرة، وكذلك ليس لها جذر حتى يتم الاشتقاق منها.

وبالتالي صارت كلمة ( **الله** ) **اسم عَلَم مفرد جامد لا جمع له، وغير قابل للاشتقاق، ولا يدل إلا على الخالق المدبر حصراً، و هذا المفهوم يتطابق مع الواقع تماماً من حيث أنه لا إله إلا الله.**

أما كلمة (إله) فقد أفرزها مفهوم التعددية والشرك بالله العظيم، وهو مفهوم عارض ودخيل على المجتمع الإنساني، لأن الأصل هو التوحيد والإيمان، وليس

الشرك والكفر. وأخذت كلمة (إله) من بداية مرحلة نشوء مفهوم كلمة (الله) التي هي (إيله) فظهر مفهوم قاصر للإلوهية لا يشمل دلالة (الأول والآخر والظاهر والباطن ) وإنما يدل على بعض من مفهوم كلمة (الله) ومن هذا الوجه تعددت الآلهة وتقاسمت الأدوار في إدارة وتدبير الوجود، **وكل ذلك أوهام ابتدعها التصور الذهني للإنسان،** وليس لها مصداقية على أرض الواقع مع وجود واستمرار مفهوم (الله) {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }العنكبوت61 فالخالق الأول في الثقافة الإنسانية قاطبة هو الله لا شريك له أبداً، وإنما كانت الآلهة تابعة له، ومسؤولة عن الإدارة والتدبير ( أرباب)، وهذا هو الشرك بالله العظيم الذي حاربه جميع الأنبياء والرسل{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } المؤمنون(23)، فكان مطلب الأنبياء والرسل الإقرار بعبادة الله ﷻ الفرد الصمد، والله معروف عند الناس، وليس نكرة، **لذا؛لم يكن هذا المفهوم في أي مرحلة تاريخية محل اختلاف أو نقاش أو إنكار**، ولم **يأت القرآن ليثبت وجود الله، وإنما أتى لتصويب التوحيد والإيمان**، فكلمة (إله) ظهرت في المجتمع بعد ظهور كلمة ( الله )، وبالتالي ليست أصلاً لها، ودلالتها قاصرة لا تشمل دلالة كلمة (الله)، والعكس صواب، بمعنى أن الله هو إله، وليس من أطلق عليه كلمة إله هو الله، أما إذا أضفنا (أل) التعريف إلى كلمة (إله) تصير (الإله) وبذلك التعريف ترجع

الكلمة إلى المفهوم المعروف سابقاً (الله)، أما بصيغتها النكرة فهي تدل على تصور ذهني قاصر ومحدود في صفاته، **لذا؛ القرآن أتى دائماً ليصوب هذا المفهوم ويرجعه إلى مفهوم (الله)**، أو يستخدم التحديد والحصر بعد كلمة إله نحو {وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } البقرة(163)**،** ليصير مفهوم كلمة (الله) و (الإله)و (إله واحد ) يدل على (الله) وحده لا شريك له، وتصير جملة:

**لا إله**: نفي هذه الآلهة الذهنية القاصرة والمحدودة في أفعالها وإثبات الوجود الحقيقي الفاعل للخالق المدبر، المعروف مسبقاً للجميع ( **إلا الله** ). وينتج عن ذلك ضرورة توحيد العبادة للواحد الأحد، الله سبحانه وتعالى عما يصفون.ما قدروا الله حق قدره.

وإدراك مفهوم أحدية الله كخالق ورب للوجود هو إدراك لصلة الإنسان بالله من خلال فعله(الكون)وأوامره،لأن ذات الله لا يمكن إدراكها أو الصلة بها،وتُتَرجم هذه الصلة بالعلم الكوني(الروح الكونية)، وامتثال الإنسان لأوامر الله(الروح الشرعية)،وبذلك يصير الإنسان منسجماً مع المنظومة الكونية ويُسيّر نفسه بالروح، ويحيا حياة طيبة مفعمة بالمحبة والسلام والعدل والخير للكون والناس،[1] ومن هذا الوجه يُقال: **الله؛ محبة وسلام وعدل وخير**.

---

[1] راجع كتابي (دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير) فصل (الروح).

## الشيء والعدم

## كان الله ولا شيء معه

لقد اختلف معظم الفلاسفة القدامى، ومن اتبعهم من المعاصرين في مسألة مفهوم **الشيء، واللاشيء، والعدم**، وانطلقوا من قاعدة (**استحالة إيجاد شيء من لاشيء** ). وبناءً عليها، وضمن فلسفة معينة، وصلوا إلى نتيجة مفادها أن أصل مادة الخلق أزلية الوجود، وذلك حتى يتم استخدامها في عملية الخلق الجديد، وبالتالي يصدر الشيء من شيء قبله، وليس من لاشيء.

وفكرة أزلية الشيء دفعتهم إلى التساؤل عن ماهية الشيء الأول، وكيف له صفة الوجود الأزلي؟ فوصلوا إلى أنه ليس هو الله، وليس غير الله، وإنما هو من الله من حيث الأصل، واستمر بصورة تجليات إلهية في الوجود، **وقالوا: إن الوجود المادي هو بمثابة جسم الله، والسنن والقوانين ( الروح ) التي تحكمه هي نفس الله**. وبذلك صار الإنسان صورة إلهية مصغرة عن الإله الكبير! وكذلك باقي الصور الموجودة في الواقع، ولذلك فإن عملية الهلاك والفناء تتناول الصور فقط، و

لا تتناول أصل المادة. **فالمادة لا تفنى، وإنما تتحول من صورة إلى أخرى، فهي أزلية من حيث الوجود وسرمدية من حيث الاستمرار. هكذا زعموا!.**

ويعتقد هؤلاء أن الإنسان العارف الذي وصل إلى إدراك هذه الحقيقة يعبد الله في كل تجلياته،بينما الإنسان العامي يعبد الله في صورة واحدة،ويكفر بالصور الأخرى، أو يجهلها على الأقل.

هذا المدخل الذي اعتمدوه هو الذي استُخدِم كحجر زاوية في تأسيس عقيدة وحدة الوجود. فقالوا: لا يوجد في الوجود إلا الرب المعبود، وقد تماهى الفاعل بفعله حتى صارا كلاهما واحداً، والفرق بينهما هو أمر نسبي حسب وجهة نظر الباحث.

وقالوا: إن هذه الأفعال الإلهية البديعة هي فيوض إلهية لازمة لوجوده الأزلي، فعملية الفيض الإلهي لا بداية لها ولا نهاية، فهو مازال يفيض من إبداعه كما كان دون توقف أو انقطاع أو بداية. وما هذا الفيض الإلهي الذي نمثله نحن إلا أحد صور الفيوض الإلهية في بحر الأزلية الذي لا شاطئ له. ويشبهون عملية الفيض الإلهي كمثل فيض القصيدة من الشاعر. فالقصيدة ليست هي الشاعر، وليست هي غيره، وإنما هي منه، وقبل ظهورها بهذه الصورة الصوتية كانت موجودة كامنة في نفس الشاعر.

**لذا؛ يعتقدون بأزلية وجود المادة والطاقة، وأنهما من الفيوض الإلهية التي لا بداية لها ويتصورون أنهما من النور الإلهي من حيث الأصل قبل عملية التحول وظهور الصور**. وعبروا عن ذلك بقولهم: **إن الله منبث في الوجود كمثل انبثاث الضوء**، وبالتالي يرفضون تماماً مقولة: إن الله بائن عن الخلق. لأنهم يعتقدون أن القول بها يلزم منها تجسيم وتحديد الإله وتحيزه في جهة دون أخرى التي يوجد فيها الخلق، ويلزم منها ظهور الشيء من لا شيء وهذا محال عقلاً.

وبنوا عقيدتهم تلك على تساؤلات عقلية فلسفية، أهمها:

1- كيف يوجد الشيء من لاشيء؟

2- كيف يمكن أن يكون الفاعل متصفاً بذلك أزلاً، والفعل له بداية؟.

3- كيف تكون الفيوض الإلهية حادثة، والله متصف بالعلم والإبداع أزلاً؟.

4- كيف يظن الفعل ( الإنسان ) أنه يملك وعياً وإرادة حرة رغم أن ذلك أيضاً فعل للفاعل؟.

5- كيف يظن الفعل ( الإنسان ) أن هناك عملية توقف وانقطاع للفيض الإلهي؟.

قبل محاكمة هذه الأفكار لابد من ضبط المفاهيم وتعريفها بصورة صائبة:

1- **العدم**: كلمة تدل على فقدان صلاحية الشيء واضمحلال فاعليته. نحو قولنا: آلة عدم، وسيارة عدم، ورجل عدم، وإعدام المجرم....الخ، ***فالعدم هو شيء***

***انعدم،بعد أن كان شيئا، والعدم ليس ( لا شيء ) كما هو شائع عند معظم الفلاسفة. لذا، لا يصح قول بعضهم: إن الله خلق الخلق من عدم.*** لأن ذلك يدل على وجود شيء معدوم كان له صلاحية وفاعلية فيما سبق. بمعنى آخر تدل على أن هذا الخلق قد تم خلقه من حطام وركام هلاك كائن قد تم عدمه.

**2 – الشيء**: كلمة تدل على دخول الأمر في التصور العلمي أو الذهني، وظهور أبعاده مع إمكانية حصوله في الوجود الموضوعي خارج الذهن أو العلم.

و الشيء ضربان:

**الأول**: **شيء علمي**: وهو دخول الأمر في التصور وظهور أبعاده في العلم أو الذهن فقط دون إيجاده بصورة موضوعية خارج العلم أو الذهن.

**الثاني**: **شيء موضوعي**: وهو إخراج الشيء العلمي أو الذهني إلى حالة الوجود الموضوعي.

ومن خلال ضبط تعريف كلمة ( الشيء ) نلاحظ أن الشيء هو الذي يمكن أن يتشيَّأ في العلم أو الذهن، ويأخذ أبعاداً معينة، فالأوهام والخرافات ليست أشياءً لأنها لا يمكن أن تتشيأ في العلم، ولا يمكن أن توجد خارج العلم أو الذهن. مثل مفهوم الشريك لله، أو انتفاء وجود خالق، فهذه أوهام محلها الذهن غير قابلة لأن تصير شيئاً، وهي بالتالي لا شيء، **واللاشيء لا يتعلق به العلم أو المعرفة أو القدرة أو الإرادة**، لأن كل ذلك مرتبط بالشيء. { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الأنعام101 ***وبناء على ما سبق من تعريف الشيء نصل إلى أن الشيء محدود وحادث وممكن الوجود. وبالتالي لا يصح تطبيق قوانين وقواعد الشيء على خالق الشيء لتغايره عن الشيء { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }*** الشورى 11 ، ***انظر إلى حرف (ك) فهو للتشبيه، ويفيد بأن الله ليس شيئاً، وبالتالي لا يوجد من الأشياء من يمكن أن يتصف بصفات الله ﷻ. فالله أحد صمد.***

وبعد هذا الشرح نستطيع أن نفهم قوله تعالى:

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }يس82

لأن بعض الفلاسفة قالوا: الشيء له صفة الوجود الأزلي وذلك استنباطاً من جملة ( أن يقول له كن فيكون) أي أن الخالق يخاطب شيئاً موجوداً يطلب منه التحول إلى صورة أخرى أرادها الخالق ليتجلى من خلالها. وهذا الكلام يخالف العقل والواقع لأن النص صريح في أن صفة الإرادة سبقت عملية التشيؤ ( إذا أراد شيئاً ) والمقصد هو توجه الإرادة الإلهية لعملية تشيؤ أمر معين يلازمها مباشرة توجه الإرادة لإيجاده في الوجود الموضوعي، **أي تلازم توجه إرادة الله للشيء علماً وإيجاداً بوقت واحد** (كن فيكون) فخطاب الله موجه إلى الأمر الذي تشيَّأ في الإرادة بعد أن لم يكن شيئاً.

**لذا؛ لا يصح أن نطلق كلمة (شيء) على الخالق أبداً، كما أنه لا يصح أن نطبق عليه قوانين الأشياء. بخلاف أفعال الخالق فهي أشياء أرادها الخالق على شيئيتها.**

**والمفهوم الذي يقابل ( الشيء ) هو ( اللاشيء )** وهي كلمة تدل على ذاتها، **فاللاشيء هو لا شيء،** وبالتالي لا يتعلق به أي شيء. بمعنى أنه لا يصح أن تقول: الله عالم أو قادر على اللاشيء. فهذا من المغالطات العقلية.

بعد أن ضبطنا تعريف: **العدم، والشيء، واللاشيء.** نأتي إلى نقاش القواعد التي وضعها البعض لإثبات أزلية الوجود مادة وطاقة.

**1- أول قاعدة قولهم: بطلان إيجاد شيء من لاشيء.**

**ونحن نقول أيضاً ببطلانها، لأن اللاشيء لا يتعلق شيء به أبداً. ولو تعلق الشيء باللاشيء لكانت النتيجة هي لا شيء، وليست شيئاً.** لذا؛ ينبغي ضبط المصطلح والمفهوم. فنحن لم نقل أن الله خلق الشيء من لا شيء، وإنما نقول: ***الله خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئاً .*** ويوجد فرق كبير بين القولين يظهر لمن يقوم بعملية التدبر والدراسة، فمحور النقاش هو مفهوم الشيء.

**فالمقولة الأولى: (إيجاد شيء من لاشيء )** أسندت فعل وجود الشيء إلى اللاشيء، وهذا الإسناد أكسبه صفة الشيء، وبذلك وقعنا في التناقض، **لأن**

**اللاشـيء لا يُـسند إليـه شـيء،** ولا يتعلـق العلـم أو المعرفـة أو المقـدرة أو الإرادة به...الخ، وبالتالي فهذه المقولة باطلة وغير ممكنة في الواقع.

**المقولة الثانية**: ( ***إمكانية إيجاد الشيء ابتداءً قبل أن يكون شيئاً*** ) وهـذه المقولـة لا تـسند فعـل الإيجـاد إلى اللاشيء، وإنما تخبر عـن إمكانيـة وجـود الـشيء ابتداءً بعد أن لم يكن شيئاً.

{أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً }مريم67

{قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً }مريم9

{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً }الإنسان1

ولقـد تم تعريـف (الـشيء) وضـبطه بأنـه أمـر محـدود، وبمـا أن الـشيء لـه هـذه الـصفات لزومـاً، فقطعـاً يوجـد بدايـة لعمليـة التـشيُّؤ، سـواء أكـان في العلـم، أم في الوجـود الموضـوعي لـه، فـالأمر سـواء، لابـد مـن بدايـة للـشيء. {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }الروم27

وبنـاء علـى مـا ثبـت لـدينا ***يظهـر بطـلان فرضـية التسلـسل فـي عمليـة إيجـاد الأشياء من بعضها إلى مالا بداية. و لابد من ابتداء وجود شيء بعد أن لم يكـن شيئاً يتم استخدامه في عملية إيجاد الأشياء الأخرى اللاحقة. وهـذا الشيء الأول المبدوء به محدود ضرورة وإلا انتفت عنه صفة الشيء!*** وكون

الأمر كذلك نستطيع أن نقول: ***لقد تم خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئاً***. ***ولا يصح استخدام كلمة ( لا شيء ) لأنها لا تدل على شيء.***

والسؤال الذي يفرض ذاته: كيف تم وجود الشيء بعد أن لم يكن شيئاً؟

أول أمر ينبغي إثباته هو أن الشيء محدود ضرورة، وبالتالي يستحيل تسلسل عملية وجود الأشياء من بعضها دون بداية. كما أنه يستحيل تعلق وجود الشيء بشيء متعلق وجوده بالشيء الأول ( فرضية الدور) لأن النتيجة هلاك الاثنين وانتفاء شيئيتيهما ويصيران (لا شيء)، ***إذن، لا مفر من إثبات أن الشيء قطعاً له بداية، ولابد للأشياء من أن ترجع إلى شيء أولي تم تشييئه بعد أن لم يكن شيئاً.***

و السؤال عن كيفية إيجاد الشيء الأولي أمر مرتبط بالفاعل الذي شيَّأه. **فإن كان فاعلاً محدودَ القُدرات** فلاشك أنه يحتاج إلى شيء قبل الشيء الذي يريد أن يوجده حتى يستخدمه في عملية الإيجاد ( مادة خام ).

أما إذا كان **الفاعل كاملاً ومطلقاً في قدرته**، وهو قيوم صمد، ومتصف بصفة الأول والآخر. فلا شك أنه قادر على أن يوجد شيئاً بعد أن لم يكن شيئاً.

**وإذا اختلفت صفة الفاعلين اختلفت طريقة فعلهما ضرورة**، ولا يصح قياس أحدهما على الآخر. **فالفاعل المحدود** لا يمكن أن يوجد شيئاً إلا من شيء سابق عنه. أما **الفاعل الأزلي** فهو قادر على أن يوجد شيئاً ابتداءً بعد أن لم

يكن شيئاً. وهذه الصفة هي صفة الإله لا يشاركه أحد بها. **وإلاّ لماذا سُمّي الإله!**.

**وعجز العقل الإنساني عن تصور هذه العملية أمر لازم لمحدوديته، لأنه لو تصورها لصارت شيئاً، وبالتالي صارت محدودة وانتفت عن الإله صفة الألوهية**.

***إذاً، صفة العجز عن تصور عملية الخلق للشيء ابتداء بعد أن لم يكن شيئاً هي من مقومات الإيمان بالغيب الذي تأسس على الشهادة.***

2 – أما قولهم: **كيف نصف الله بصفة الفاعل أزلاً رغم أن فعله حادث؟** وهم يقصدون بهذا الكلام أن فعل الله مرتبط بصفة الفاعل، وكون صفة الفاعل أزلية فيعني أن فعله أزلي أيضاً، وإلا كيف اتصف بصفة الفاعل**!** وهذا الكلام مغالطة أيضاً لأن **من المعلوم أنه لابد لكل فعل من فاعل ضرورة، والفعل غير الفاعل أيضاً ضرورة**. أما أن نعكس المفهوم ونقول: لابد لكل فاعل من فعل. فهذا ليس على إطلاقه فالأمر مرتبط بصفة الفاعل، فإن كان يحتاج إلى فعله ليستمد الحياة منه فصدور الفعل عنه ضرورة لازمة. نحو قيام الإنسان الفاعل بفعل التنفس وفعل تناول الشراب والطعام، فالإنسان يحتاج إلى فعله، فيصح في حقه أن نقول: **الفاعل المحدود يصدر منه الفعل ضرورة واحتياجاً**، ***ولكن هذا الأمر غير متحقق بالفاعل الأزلي لأنه لا يستمد حياته وصمديته من فعله، وبالتالي***

***يصدر الفعل منه اختياراً ومشيئة***. وإن قال أحدهم: لماذا اسمه فاعل إذاً؟ نقول لم يسم نفسه فاعلاً، وإنما سمى نفسه باسم الأول والآخر والظاهر والباطن. أما صفات الأفعال نحو الخالق الرازق....الخ فقد ظهرت تسميتها بعد الفعل وليس قبله. بمعنى أنه لا يوجد ناس مخلوقون يقولون يا خالق! رغم أن مقومات صفات الخالق التي هي العلم و الإرادة والقدرة والحكمة وغيرها يتصف الله بها أزلاً بصورة لازمة له كونها من مقومات الإله.

3- **أما مسألة الفيض الإلهي فهي مرتبطة بصفة الفاعل والفعل** لأن عملية الفيض هي فعل حادث، **ولقد ثبت أن الله ﷻ مستغن عن أفعاله ولا يحتاج إليها وتصدر منه مشيئة واختياراً، وليس لزوماً أو احتياجاً**. فصفة الإبداع هي بحد ذاتها تدل على الابتكار والحدوث ولا تدل على القدم والتقليد. أما ظهور هذه الصفة لله ﷻ فهي مثل ظهور صفة الخالق تماماً. ***فالله الأول والآخر يتصف بمقومات الإبداع دون وجود الأفعال البديعة، وصدور الإبداع منه حادثٌ واختيارٌ ومشيئةٌ وليس أزلياً، وليس لازماً، ولا ضرورياً.***

4- **أما مسألة فعل الإنسان**، فهي مدفوعة بقسرية غيرية، فقد خلق الله الإنسان ومنحه الوعي والإدراك والحرية، وخصه بالحاجة والتكليف، **وهذا يقتضي تحرك الإنسان ضمن احتمالات معلومة مسبقاً**، فالله خلق في الإنسان حاجة الجوع، وبالتالي لابد من إشباعها ضرورة، فطلب الله من الإنسان أن يقوم بعملية

الإشباع وفق نظام الحرام والحلال، والضار والنافع، **فحرية الإنسان تكون باختيار صورة عملية الإشباع، وهذا الاختيار هو محل المسؤولية والمحاسبة، لا صفة الجوع عند الإنسان.**

5 – أما قولهم: **إن وجود اليوم الآخر يقتضي توقف عملية الإبداع والفيض الإلهي**، وبالتالي لا يوجد اليوم الآخر، وإنما حياة مستمرة من خلال تناسخ أو تقمص النفوس لأجسام تولد من جديد، وتستمر عملية الفيض الإلهي! فهذا كلام مردود عليه، ***لأن وجود اليوم الآخر لا يتناقض مع استمرار الإبداع والفيض الإلهي، فالإبداع موجود في الآخرة على نطاق أوسع من الحياة الدنيا، مع العلم أن المشروع الإلهي واحد بمرحلتي الدنيا والآخرة.***

– وأخيراً لابد من ضبط علاقة المادة بالطاقة، والعكس. قال العلماء: ***إن المادة هي طاقة خامدة، والطاقة مادة متحولة. مما يعني تلازم وجود المادة والطاقة مع بعضهما بصورة جدلية يؤثر كل منهما بالآخر، وبالتالي لا يصح أن نقول: المادة موجودة أولاً، أو الطاقة أولاً؛ لأنهما موجودتان معاً بعلاقة جدلية وهما شيئان ينطبق عليهما قوانين الأشياء.***

***– ونتيجة البحث النهائية هي أن الله ﷻ غير الأشياء، فهو كان ولا شيء معه، ثم ابتدأ خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئاً، وأخذ الشيء صفة الوجود الشيئي ضرورة، وهو غير الوجود الإلهي ضرورة. فالوجود الشيئي خاضع***

***لصفة المحدود ومرتبط بالزمان والمكان، أما الوجود الإلهي فهو أزلي سرمدي لا يوجد بينه وبين الشيء علاقة ذاتية، ومنزه عن الزمان والمكان، والتحيز لجهة، لأن لو حصل ذلك لصار الإله شيئاً، وخضع لقانون الأشياء.***

**أما صفة التحيز لجهة، والبينونة والمقابلة والتغير**....الخ إنما هي صفات الشيء القابلة للدراسة والإدراك، بخلاف أسماء الله الذاتية فهو ليس كمثله شيء، لذا؛ لا ينبغي أن نستخدم هذه المفاهيم الشيئية للدلالة على الله ﷻ، مع العلم أن الجهات هي نسبية ومتعلقة بمكان الإنسان بينما لايوجد للكون فوق وتحت...، وإنما نقول: ***إن وجود الشيء مغاير للوجود الإلهي تماماً، والله ليس شيئاً، والشيء ليس الله ﷻ!***

ومن المعلوم في الرياضيات أن اللانهاية لا تُحدد ولا تُوصف ولا تُعرَّف لأنه لو حصل ذلك لفقدت صفة اللانهاية، وهكذا مفهوم الأزلية، لا يمكن أن يتصوره (يتشيَّأه) الإنسان المحدود رغم ثبوته عقلاً وعلماً، **وإذا أردنا أن نتصور مفهوم الوجود الأزلي وعملية الإيجاد للشيء بعد أن لم يكن شيئاً، تلزمنا أدوات معرفية أزلية!** وهذا غير ممكن للكائن المحدود.

**وبالتالي؛ يصير العجز عن الإدراك إدراك، وإدراك العجز إيمان.**

***كان الله ولا شيء معه حي قيوم صمد، وعندما خلق الشيء ابتداء، بقي على ما هو عليه– حي قيوم صمد– مغاير للشيء، ومستغن عنه.***

**{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ }**الأنعام91

# الحرية

## مفهوم ثقافي منضبط

كلمة حرية: أصلها (حر) الحاء تدل على أرجحة شديدة منضبطة، والراء على التكرار، وجمع الصوتين بهذا الترتيب يدل على أرجحة شديدة بين أمرين مع تكرار تلك العملية دون توقف[1].

وظهر هذا المعنى لكلمة (حر) في حركة الإنسان الواعي من حيث امتلاكه لصفة الإرادة والاختيار بصورة لازمة لا تتوقف أبداً، فهو ينتقل من أمر إلى آخر حسب ما يشاء ويرغب.

إن الجسم له حاجات عضوية ينبغي إشباعها، التي هي الهواء، والطعام، والشراب، والنوم، وطرح الفضلات، **وكذلك للنفس حاجات نفسية ينبغي إشباعها، وعدم إشباعها يؤدي إلى هلاك النفس، وهذه الحاجات هي الحرية والكرامة**، فعندما تُصادر حرية الإنسان، أو تُهدر كرامته يُصاب بحالة اكتئاب وحزن شديد تودي به إلى موت نفسي، **فالحرية شعور نفسي بالحياة**، لذا؛ الحرية تساوي الحياة، بل يضحي الإنسان بحياته الجسمية مقابل الحفاظ على حريته، **لأن الحياة الحقيقية هي للنفس الواعية الحرة، والمعيشة للجسم.**

---

(1) راجع كتابي ( علمية اللسان العربي وعالميته) لمعرفة دلالة أصوات الأحرف العربية.

ومن هذا الوجه يظهر خطأ من ينكر حرية الإنسان أو يطالب بالبرهان عليها، فمثله كمثل من يناقش مسألة حاجة الإنسان العضوية للهواء والماء، ويطالب بالبرهان عليها. **فهذه الحاجات النفسية والعضوية هي حاجات ذاتية للإنسان(جسم ونفس) تنبع من داخله وتتطلب الإشباع الخارجي.**

ولقد أحسن قولاً من قال: أنا أفكر إذن أنا موجود. ويمكن أن نستبدلها بمقولة: **أنا حر إذن أنا موجود. ولا يتغير المفهوم، لأن التفكير ثمرة للحرية، والحرية أساس للتفكير**، فقولك: أنا أفكر. يتضمن قولك أنك حر، وإن قلتَ: أنا حر. يلزم منه قدرتك على التفكير، **فالإنسان الحر هو القادر على التفكير والعطاء والإبداع**، والإنسان المستعبد كَلٌّ على الآخرين، وعبء، ولا يُنتظر منه نهضة أو رقي، وكذلك الشعوب المستعبدة، هي شعوب متخلفة لا يمكن أن تنهض ما لم تمارس حريتها التي تدفعها إلى التفكير والعطاء والحوار والاختلاف في الرؤى، **فالشعوب الحرة، شعوب متقدمة ناهضة، والشعوب المتقدمة الناهضة هي شعوب حرة.**

**والحرية طريق للنهضة والتقدم والإبداع، وممارسة مقام الخلافة في الأرض.**

وحرية الإنسان مفهوم ثقافي ذو بُعدين:

**الأول**: ديني على صعيد الفرد بالحد الأدنى ويرتقي إلى الأسرة والمجتمع.

**الثاني**: اجتماعي يتعلق بحركة الإنسان في المجتمع وفق معيار الآداب العامة، والعرف والنفع والضرر.

فالإنسان الذي يعيش وحيداً على قمة جبل تكون مساحة حريته كبيرة جداً، إذ يستطيع أن يصرخ بأعلى صوته، ويمشي عارياً، ويقذف الحجارة إلى أي جهة يريد، بينما إنسان المجتمع لا يستطيع ذلك، **فدائرة حريته تضيق وتنضبط لتفسح مجالاً لحق دوائر الآخرين في الوجود**، فالإنسان الاجتماعي لا يعيش وحده، وإنما يعيش ضمن علاقات متشابكة بالغة التعقيد مع الآخرين، والتمرد الفردي الأعمى على نظام المعرفة، قد يقود إلى نفي القيم والمعارف المعمول بها بصورة مدمرة.

لذا؛ قيل: **إن حرية الإنسان تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين**، وهذه الضوابط الثقافية للحرية هي ضوابط اجتماعية يخضع الإنسان لها طوعاً ليستطيع ممارسة حريته الفعالة، لأن عدم خضوع الإنسان لهذه الضوابط تدفع الآخرين إلى اختراق دائرة حريته وإلحاق الأذى به، إذاً؛ الانضباط الثقافي الاجتماعي هو قانون يضمن ممارسة الحرية الشخصية بجانب حرية الآخرين دون اختراق أو أذى لأحد.

**فالحرية مسؤولية وانضباط والتزام**، والمسؤولية قائمة في أساسها على الحرية. **فالحر مسؤول، والمسؤول حر**، وإذا غابت الحرية انتفت المسؤولية، وإذا انتفت المسؤولية عن كائن ما فهو على واحد من ثلاثة أوجه:

**الأول**: لا يُسأل عن أمر لاتصافه بالعلم والعدل والحكمة بصورة مطلقة، وبالتالي لا يصدر منه إلا خير وحق وصواب، سواء عقل الناس مقاصد ومآل العمل أم لا، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } الأنبياء(23، وهذا الوجه غير متحقق إلا بالله الخالق المدبر.

**الثاني**: فاقد الحرية والإرادة، فلا يُقدم على فعل شيء من تلقاء نفسه، وإنما يتلقى الأوامر من غيره، مثل الملائكة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} التحريم(6)، ومثل الناس الذين صاروا ملك يمين لغيرهم (عبيد) فهم من مقهوري الإرادة.

**الثالث**: الكائنات الحية البهيمية، لا تُسأل عما تفعل لأنها فاقدة للعقل والحرية.

والإنسان ليس واحداً من الأوجه الثلاثة، وإنما هو كائن عاقل حر ذو إرادة واعية، وصفات محدودة مكتسبة متنامية، وبالتالي مسؤول عن أعماله كائناً من كان هذا الإنسان، ومهما كان منصبه أو مقامه في المجتمع.

والإنسان الذي ينفي عن نفسه المسؤولية، هو إنسان ينفي عن نفسه العقل والحرية، ولكم أن تتصوروا رؤساء أو ملوكاً لبعض الشعوب العربية، يزعمون أنهم فوق المساءلة الشعبية والقانونية، فكيف يكون هؤلاء دون مسؤولية ويحكمون الشعوب؟ وبمعنى آخر كيف يكون هؤلاء دون عقل وحرية، ومع ذلك يحكمون الشعوب، التي تدّعي العقل والحرية؟ إنها معادلة باطلة، جنون واستعباد يحكمان عقلاً وحرية!؟

الجنون والاستعباد لا ينبتان إلا في تربة الجنون والاستعباد، فإذا أردنا أن نستأصل الجنون والاستعباد، ينبغي أن نحرث التربة، ونزيل الجنون والاستعباد، ونزرع الوعي والثقافة، فينبت منهما العقل والحرية، ويمارسان دورهما في قيادة الشعوب العاقلة الحرة.

وحرية الإنسان بشقيه ( ذكر وأنثى ) تظهر بصور أربع:

**الأولى: حرية الفكر**

**الثانية: حرية الرأي**

**الثالثة: حرية الملكية**

**الرابعة: حرية الشخصية**

**وهذه الصور الأربع للحرية، منضبطة بثقافة المجتمع وفق مفاهيمه عن الإنسان والكون والحياة، وما قبل الحياة وما بعد الحياة، وعلاقة هذه المفاهيم ببعضها، وبناء على كل ذلك يشكل الإنسان قاعدة إيمانية يبني عليها نظام حياته، ويمارس حريته بموجبها.**

**والحرية لا تمارس إلاّ منضبطة بنظام ثقافي، وتتوسع دائرة الحرية كلما ازداد الإنسان ثقافة ووعياً، والعكس صواب،والذي يوسع دائرة الحرية هو العلم والوعي،ومن هذا الوجه ظهرت العلاقة الجدلية بين الحرية والعلم.**

{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ } الصافات (24) {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ } الحجر(92)

{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } الإسراء (36)

## هل الموت نهاية لحياة الإنسان؟

عندما بلغ الإنسان سن الرشد،وتفاعل مع الواقع طبيعة واجتماعاً بواسطة الفطرة والعقل وصل إلى وجوب وجود الخالق للسموات والأرض ضرورة، فآمن به غيباً، وانطلق في الحياة الدنيا تفاعلاً وفاعلية على صعيد النفس والمجتمع والواقع، واستنتج أن الموت ليس نهاية لحياة الإنسان، وإنما هناك حياة أخرى أبدية، لها قوانين خاصة بها، وبناء على هذا المفهوم كَيَّفَ الإنسان سلوكه في الحياة الدنيا ليستعد للحياة الآخرة، وعَدَّ أن الحياة الدنيا هي مزرعة للآخرة، فما تزرعه سوف تحصده، فانظر ماذا تزرع.

**فما هي البراهين العقلية والعلمية التي تم الاعتماد عليها من قبل المجتمعات الإنسانية لإثبات وجود الحياة الآخرة بعد الموت؟**

1- **غائية المخلوقات**: نظر الإنسان إلى المخلوقات حوله من أرض وبحر وسماء وحيوانات وحشرات وفيروسات وبكتريا ، واكتشف البروتون والإلكترون والفوتون ووصل إلى الكواركات...الخ، وشاهد أنَّ لكل مخلوق منها وظيفة يقوم بها ضمن المنظومة التي ينتمي إليها فلا يوجد مخلوق دون غاية، وشاهد الإنسان أن وجوده منفرد دون غيره بعقله وإرادته فعلم أن **غاية وجوده موكولة إلى نفسه ليقوم**

**بإرادة حرة في التحرك المتوازن ضمن منظومته الإنسانية المرتبطة بالمنظومة الكونية، وكونه يملك العقل والحرية فلابد ضرورة من المسؤولية،والمسؤولية تقتضي ضرورة وجود الحياة الآخرة دار الحساب.**

2- **سرمدية المادة**: درس الإنسان المادة فوصل إلى أنها لا تفنى من حيث الوجود، وإنما تتحول من صورة إلى أخرى، وتخضع لقوانين الصورة الجديدة ،نحو تحول الماء إذا تعرض للحرارة إلى بخار، فعلم أن الوجود خُلِقَ ليستمر ولم يخلق عبثاً، **فأدرك أن الموت ليس نهاية لحياة الإنسان، وإنما هو مرحلة تحول إلى حياة أخرى تخضع لقوانين جديدة.**

3- **قانون التناقض الجدلي للمادة**: اكتشف الإنسان أن المادة يحكمها قانون جدلي تناقضي ثنائي يؤدي إلى تطور المادة وهلاكها أخيراً، وتحولها إلى مادة أخرى جديدة وذلك من خلال سير الكون كله باتجاه الموت، وعَبَّر العلماء عن ذلك بقولهم: **إن الكون بمثابة صاروخ ينطلق بسرعة شديدة يوشك أن ينتهي وقوده! ليحصل الانفجار الكوني العظيم الثاني تمهيداً لقيام خلق آخر وعالم جديد على أنقاض الأول بقوانين جديدة.**

4- **النفس سرمدية، بينما الجسم فان متحول**: عَلِمَ الإنسان من خلال تفاعله مع نفسه أن النفس لها وجود مختلف عن وجود الجسم رغم العلاقة الجدلية

بينهما، فالإنسان هو نفسه بصورة جسمية متحولة هالكة، **فالوعي والإدراك والإرادة والعاطفة والعلم صفات لنفسه لا لجسمه، والشخصية هي تشكيل النفس على مفاهيم معينة يتم صدور السلوك منها مستخدمة الجسم في ذلك**، ومن هذا الوجه قال الشاعر:

***انهض بنفسك واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان***

5- **قانون التناقض الجدلي الثنائي الفكري** ( قانون أخلاقي وقيمي): يعيش الإنسان في مجتمع يحكمه قانون جدلي تناقضي مثل العدل والظلم، والحرية والاستعباد، والمشاركة والاستبداد... الخ، فعلم أن ذلك الوضع غير دائم، وإنما هو مرحلة مؤقتة، **لأن الحياة الأبدية ينبغي أن تقوم على السلام والمحبة والعدل والخير**، ولا وجود للحرب أو الكره أو الظلم أو الشر فيها.

6- **مفهوم الحياة الدنيا برهان ثقافي على وجود الحياة الآخرة**: إذا درسنا ثقافة المجتمعات الإنسانية نجد أن مفهوم الحياة الدنيا موجود وموغل في الثقافة وقديم قِدَم الإنسان نفسه، فالسؤال الذي يفرض ذاته هو من أين جاء وصف هذه الحياة بالدنيا إذا لم يكن مفهوم الحياة الآخرة كامناً في ثقافة المجتمع، ومن المعلوم أن الأمور ثنائية في الوجود؟.

7- **إخبار الأنبياء والرسل قومهم بوجود الحياة الآخرة بعد الموت**:

بشَّر الأنبياء أقوامهم . بموجب الوحي الذي أنزله الله تبارك وتعالى على قلوبهم . أن الموت مجرد بوابة يعبرها الإنسان إلى حياة أبدية لا فناء فيها، حياة تُنصف المظلوم وتُنزل العقاب العادل بالظالم، ويسكن المؤمن الصالح في رحاب جنات الخلود، وقال الرسل لأتباعهم:

**أيها الناس! لا خوف من الموت لأنه ليس نهاية لحياة الإنسان، وإنما هو مرحلة انتظار وانتقال إلى حياة أخرى، فسارعوا إلى العمل الصالح وعمارة الأرض بالعدل والسلام والمحبة والخير، ليكون ذلك رصيداً لكم في الآخرة، فأنتم الذين تكدسون في صوامع الآخرة ما تزرعونه في تراب الدنيا.**

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ }الحج 5-7

# علاقة المشروع الإنساني بالمشروع الإلهي

يتردد سؤال على ألسنة كثير من الناس: **لماذا خلقنا الله في الحياة الدنيا؟** وسرعان ما يسمعون الجواب المعهود: خلقنا الله لعبادته ويستدلون بقوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات(56)، فيرد عليهم أصحاب السؤال لم نقصد هذا، وإنما قصدنا الجانب الآخر من السؤال المتعلق بالله ﷻ: لماذا خلقنا؟ وماذا يريد من ذلك هو وليس نحن؟ فلا يسمعون جواباً يقنع عقولهم، ويفعم قلوبهم طمأنينة، ويدفعهم في سبل الحياة تفاعلاً وفاعلية، عملاً وصبراً واستمراراً في عملية البناء لتحقيق الهدف الأسمى.

والملاحظ أن هذا السؤال يساور صنفين من الناس:

**أولهما: صنف يعاني من الفقر والظلم والأسى والحزن**، ولا يستطيع دفع ذلك عنه، ولا يوجد في قلبه إيمان عقلي يكسبه التوازن والاطمئنان في حياته على الصعيد النفسي، فيخطر في ذهنه لو أنه لم يكن مخلوقاً في هذه الحياة الدنيا، أو يتساءل ماذا يريد هذا الإله العظيم من عملية الخلق. وينكفئ هذا الإنسان على نفسه كئيباً حزيناً ويموت نفسياً قبل موته جسمياً فيصير الميت الحي! ويتمنى لو كان تراباً.

**الآخر: صنف حقق نجاحاً في حياته على الصعيد النفسي والمادي**، ويسير في حياته وفق رؤية مستقبلية ضمن خطط مرحلية وظرفية، يحقق نجاحاً تلو الآخر،

وينتقل من هدف إلى أسمى منه، ويعلو بناؤه شامخاً على صرح من النجاحات. فيتساءل هذا الإنسان صاحب الرؤية المستقبلية، وصاحب الأمجاد التي بناها من عرقه ودمه وعمره، ماذا بعد الموت؟ **فالإنسان يسير منذ ولادته في طريق الموت،** كلما ازداد عمره ساعة مضت من عمره ساعة، واقترب من الموت أكثر. لماذا هذا التعب والبناء والنجاح إذا كنت سوف أترك كل ذلك لا محالة، وهل أستطيع أن أضع خططاً لمرحلة ما بعد الموت، وأستطيع أن أنفذها، وهل لنمط حياة الإنسان قبل الموت علاقة بما بعد الموت؟ و لماذا خلقنا هذا الإله العظيم؟

فإن لم يجد هذا الإنسان صاحب الرؤية المستقبلية جواباً مقنعاً لعقله، ويكسب قلبه طمأنينة، تسلل الحزن والاضطراب إلى نفسه، وربما يقف عن تحقيق النجاحات، وينكفئ على نفسه مفكراً ومتأملاً، ويشله الإحباط وهو ينظر إلى تجاعيد أصابت وجهه، وإلى شيب أشعل رأسه، قائلاً ماذا بعد ذلك؟ هل يمكن أن تكون نجاحاتي كلها هباءً منثوراً، لماذا خلق الله هذا المشروع الكوني العظيم؟.

والملاحظ أن محور حديث الفريقين هو الموت:

**الأول: يتمنى حصول الموت بأسرع وقت** لأنه فقد الفاعلية وصار بحكم العدم.

**الآخر: يحاول أن يدفع عنه شبح الموت ليستمر في استثمار نجاحه.**

**ولكن الموت حق لا مرية فيه، وسوف يدرك كل الناس عاجلاً أو آجلاً.**

ومن حقيقة الموت وُلِدَ السؤال **ماذا بعد الموت؟** ولماذا خلقنا الله في هذه المرحلة المؤقتة؟

أيها الشباب! إن الموت هو نهاية لمرحلة الحياة الدنيا، ومحطة انتظار وانتقال إلى الحياة الأخرى، **فالموت فاصل مؤقت بين حياتين** الأولى ( **الدنيا** ) أساس للأخرى، لذلك كانت **الحياة الدنيا دار العمل والمسؤولية، والأخرى دار الثواب والسعادة**، فينطلق الإنسان الواعي من هذا المفهوم، ويضع خططاً مرحلية لبناء الحياة الآخرة دون أن ينسى أو يهمل مستلزمات ومتطلبات مرحلة العمل والبناء في الحياة الدنيا.

{ومِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }البقرة201

{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } الأعلى(17)

أما السؤال لماذا خلقنا الله في هذا المشروع الإلهي العظيم؟ فله وجهان من حيث التعلق:

**الأول**: **يتعلق بالله نفسه، والسؤال موجه لذاته**. لماذا فعلت ذلك يا الله؟ والجواب هو:

{... إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } هود(107)

{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } الأنبياء(23)

وذلك لأن الله متصف بصفات الكمال من الحكمة والعلم والإرادة والقدرة، وهو أحد صمد حي قيوم، مستغن عن الخلق، قائم بنفسه،الأول والآخر، فقطعاً لم يفعل ذلك احتياجاً أو مللاً أو عبثاً ... الخ، وإنما لحكمة يعلمها هو، وغائبة عن علم وإدراك الخلق، كما أنها غير متعلقة بوظيفتهم في الحياة، ولا يترتب على معرفتها بالنسبة إليهم أي شيء، ولو ذكرها الله لهم لأتبعوها بسؤال آخر لماذا أيضاً هذا؟

وهكـذا يـستمر الـسؤال إلى مـا لانهايـة لانتفـاء تعلـق جـواب الـسؤال بواقـع الإنـسان، والإنـسان لا يعقـل أو يفكـر إلا بواقـع يتعلـق بحياتـه ويخـضع لحواسـه، ويقيس الأمور بالنسبة إليه ضرراً أو نفعاً.

**فالوجه الأول لتعلق السؤال ليس بمحل للتفكير أو الدراسة، وهو أمر لا يهـم الإنـسان، وإنمـا هـو أمـر يتعلـق بفعـل الله وحكمتـه، وهـو شـيء خـاص بالفاعـل لا يمكـن للفعـل معرفتـه، بـل تـستحيل معرفتـه إذا لـم يخبرنـا الفاعـل نفسه عن ذلك، ناهيك عن عدم أهمية وفاعلية معرفة الجواب بالنسبة إلينا، وبالتـالي تـستوي عمليـة المعرفـة وانتفائهـا عنـدنا لعـدم تعلقهـا بفاعليـة حياتنـا، فالـسعي وراء معرفـة هـذا الجانـب هـو سـعي فاشـل ونهايتـه مجـرد تـصورات وخواطر لا قيمة لها من الناحية العلمية.**

**الثاني**: **يتعلـق بالإنـسان نفسه**، لمـاذا وُجِدَ في هـذه الحيـاة الـدنيا؟ ولم يتركـه الله ﷻ يتخبط في جوابه بل أرسل الرسل، وأخبره أن وجوده في الحياة الدنيا إنما هو وجود ابتلاء وامتحان{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } الملك(2)،وهـذا الابتلاء متمثـل بعمـارة الأرض ونـشر الخـير والـسلام والعـدل والمحبـة والنهـضة في المجتمـع الإنـساني، وهـذا الامتحـان هـو عمليـة تراكميـة تـستوعب الجـنس الإنـساني مـن الفـرد إلى الأسـرة إلى المجتمـع لأن الإنـسان كـائن اجتماعي، فلكل دوره في هذه المنظومة بصورة منسجمة مع بعضها بعضاً لتنسجم في النهاية مع المنظومة العامة الكونية ليشكلوا معاً لوحة التكامل الوظيفي في حركة هذا المشروع الإلهي.

**فالإنسان الذي يؤمن بالخالق المدبر الفاعل الأول،وبالمشروع الإلهي، ويدرك وظيفة الإنسان في هذا المشروع بمرحلتيه الدنيا والآخرة يقوم ببناء مشروعه ضمن مشروع المجتمع الإنساني المنسجم مع مشروع الله الكلي.**

**وإذا حصل ذلك عند الإنسان يدرك أن وجوده في الحياة الدنيا هام وجوهري، وهو عنصر فاعل في المشروع الإلهي يساهم في بناء تفاصيل وجزيئات متعلقة بنهضة المجتمع الإنساني من خلال استخدام سنن وقوانين الخالق المدبر،وهذا الإنسان الفاعل الذي جعله الخالق خليفة في الأرض – كمجتمع- ينخرط في تنفيذ مشروعه ضمن المشروع الإلهي وهو يشعر بالعزة والفخر والاحترام لوجوده الفاعل، ويعلم حينئذ أن وجوده الواعي في المشروع الإلهي خير له من الهلاك والفناء أو أن يكون تراباً،** كما أنه يعلم أن تعبه ونجاحه في بناء مشروعه الخاص لن يذهب سدى أو يضيع هدراً، بل سوف يستمر ويتراكم في كينونة المجتمع الإنساني، وينتقل معه إلى الحياة الآخرة، **فالإنسان يعيش في الجنة بشخصيته التي شكلها في الحياة الدنيا**، وسوف تنتقل معه العلوم والمعارف التي لها صفة الثبات والتجريد مثل الرياضيات{... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } الزمر(9)، وترتفع درجته حسب علمه وعمله.

أما العلوم والمعارف النسبية المتعلقة بالمرحلة الأولى من المشروع الإلهي (الحياة الدنيا ) مثل الفيزياء والكيمياء فسوف تهلك مع هلاك المرحلة الأولى{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (إبراهيم 48 ) لتحل

محلها علوم ومعارف جديدة تناسب الآخرة، ويمكن للإنسان الذي يملك علماً أن يرتقي بعلمه في هذه المرحلة أيضاً.

**إذاً؛ الإنسان الذي آمن بالله خالقاً مدبراً، وبالحياة الدنيا ابتلاء وخلافة، وأن الموت مرحلة انتظار وانتقال إلى حياة باقية يتم بناؤها ابتداءً من الحياة الدنيا، يعلم يقيناً أن وجوده في الحياة الدنيا شيء عظيم مهما كانت مادة الامتحان، فقر أو غنى،أو غير ذلك، كله ابتلاء وامتحان، وصبر وشكر، ولكل دوره ووظيفته في بناء المشروع الإنساني الذي لا يمكن أن يتم إلا إذا وُجد التفاضل والتمايز في درجات الناس ليتخذ بعضهم بعضاً سُخرياً مع إمكانية تحرك الإنسان ورفع مستواه الوظيفي من دور إلى آخر.**

**ومفهوم الابتلاء، ومقام الخلافة كلاهما تكريم للإنسان وتفضيل له، ووسطى الأمور محل حوار إيجابي خلاق، يذود فيه الإنسان عن حياض أفكاره، مستنداً إلى أسس فكره الراسخة، متعاوناً مع إخوانه في الإنسانية في سبيل بناء مجتمع إنساني فاضل وسعيد.**

***قف دون رأيك في الحياة مجاهداً.... إن الحياة عقيدة وجهاد***

***هذا الجهاد يفعم القلب الإنساني بغبطة العطاء والمعرفة،فيسمو بمتعته الإيمانية العالمة والعاملة فوق ما افترضته الفلسفات الهيدونية (العمل بدافع اللذة) بكثير.***

أما المقصد من قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات(56)

فهو حرية الاختيار في بناء المشروع الإنساني، **لأن كلمة العبادة من الكلمات التي لها صور متضادة في الاستخدام (الشدة أو اللين)**، ومن الشدة ظهر الكفر، ومن اللين ظهر الإيمان. لذلك يقول العلماء: **كلمة يعبدون يقصد بها الإيمان والكفر على حد سواء.** وذلك من باب تفسير الشيء بمآله. ويصدق ذلك المعنى قوله تعالى:

{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً } الكهف (29)، فالمؤمن يقوم بحرية ببناء المشروع الإنساني بصورة منسجمة مع المشروع الإلهي، بينما يحاول الكافر أن يبني مشروعه العدواني داخل المشروع الإلهي، فلا ينسجم معه، ومآله إلى الهلاك والفناء، إمّا بيد المؤمنين عاجلاً، أو بدفع السنن والقوانين الإلهية آجلاً، وذلك إذا تخاذل الناس عن أداء دورهم الوظيفي في بناء مشروع النهضة الإنسانية، مع الانتباه إلى أن ترك تغيير المجتمع للسنن الإلهية سوف يكون كارثياً وتدميرياً! نحو تفكك الاتحاد السوفييتي!.

***فالحكمة من خلق الناس المتعلق بهم هو ممارسة الحرية في بناء مشروعهم ضمن مشروع الله، وذلك شيء طبيعي لأن الحرية يترتب عليها المسؤولية، فالحر مسؤول، والمسؤول محاسب.*** **{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ }** الصافات (24)

# الثالوث

# حقيقة أم وهم

هذا الموضوع قد صيغ بصورة حوار متخيل بين اثنين أحدهما يؤمن بأحدية الله ﷻ، والآخر يضيف لمفهوم الأحدية مفهوم الثالوث.

عبد الله: السلام عليكم يحيى. كيف حالك؟

يحيى: وعليكم السلام عبد الله. الحمد لله، وأنت كيف حالك؟

عبد الله: الحمد لله رب العالمين. صديقي يحيى: قبل أن نجري الحوار الذي اتفقنا عليه، لابد من ذكر مجموعة من النقاط الهامة التي سيبنى عليها النقاش ويدور حولها الحوار، وتتمركز عليها الحجة، وتكون محل تسليم من طرفينا.

يحيى: لا بأس بذلك. ما هي تلك النقاط؟

عبد الله: صديقي يحيى! قبل أن يوجد السيد المسيح أكان الله ﷻ أحداً صمداً أم كان مفهوم الثالوث موجوداً في الواقع؟

يحيى: الله أحد صمد قبل مفهوم الثالوث وبعده.

عبد الله: مهلاً يا صديقي أريد جواباً محدداً، وسوف أعيد السؤال بصيغة أخرى: مفهوم الثالوث أزلي أم حادث؟

يحيى: طبعاً هو حادث لأن الله كان ولم يكن معه شيء.

عبد الله: حسناً. هل وجد مفهوم الثالوث قبل ميلاد السيد المسيح؟

يحيي: مفهوم الثالوث لم يكن له وجود حتى وُلد السيد المسيح لأنه أحد الأقانيم الثلاثة.

عبد الله: إذاً؛ مفهوم الثالوث حديث عهد في تاريخ الإنسانية.

يحيي: هذا ما قلته.

عبد الله: ألم يرسل الله ﷻ أنبياء ورسلاً قبل ولادة السيد المسيح؟

يحيي: بلى لقد أرسل الله كثيراً من الرسل وعلى رأسهم النبي إبراهيم عليه السلام.

عبد الله: ماذا حملت دعوة الأنبياء والرسل إلى أقوامهم قبل السيد المسيح؟

يحيي: كانت دعوة الأنبياء والرسل إلى توحيد الله وعبادته والعمل الصالح.

عبد الله: هل كانت دعوة الأنبياء والرسل السابقين قاصرة وباطلة؟

يحيي: بل كانت دعوة إلى الحق والصواب.

عبد الله: إذاً؛ دعوة الأنبياء والرسل جميعاً خالية من مفهوم الثالوث، وكانت دعوتهم إلى: لا إله إلا الله.

يحيي: نعم؛ هذا صواب.

عبد الله: هل أشار السيد المسيح من قريب أو من بعيد إلى أنه إله أو ولد الله؟

يحيي: نعم أشار إلى أنه ابن الله.

عبد الله: صديقي يحيي! ينبغي أن تفرق بين دلالة كلمة (ولد) ودلالة كلمة (ابن)

**<u>ولد</u>:** تدل على خروج شيء من شيء. ومن هذا الوجه عملية الولادة المعروفة.

**ابن:** تدل على التربية والحفظ والعناية. ومن هذا الوجه نقول فلان ابن الكنيسة أو المسجد بمعنى أنه تربى فيهما وحمل مفاهيمهما.

ومن كلمة (ولد) جاءت كلمة (والد). ومن كلمة (ابن) جاءت كلمة (أب) التي تدل على التربية والحفظ والعناية. ومن هذا الوجه أُطلق على الخالق المدبر كلمة (أب) وأطلقت كلمة (أبناء) على جميع الناس. فالله ﷻ هو أب لجميع الناس، والناس جميعاً هم أبناء الله ﷻ.

صديقي يحيى! السؤال محدد، وإذا سمحت تقيد بالجواب على السؤال دون استخدام أسلوب الحيدة عن السؤال.

يحيى: حسن يا صديقي! لم أقصد الحيدة عن السؤال، وإنما فاتني الفرق بين دلالة الكلمتين: (ولد وابن ) وعلى كلٍّ جواب سؤالك: لم يذكر السيد المسيح لا من بعيد ولا من قريب أنه وَلَدُ الله.

عبد الله: إذاً؛ تؤمن أن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؟

يحيى: نعم أؤمن بذلك أصلاً، وهذا ليس محل خلاف.

عبد الله: أرجو منك سحب هذا المفهوم الأحدي على بقية النقاش؟

يحيى: وهل تشك في إيماني بوحدانية الله ﷻ؟

عبد الله: سأُؤَخِّرُ الجواب عن سؤالك قليلاً. والآن أتابع ما بدأنا به،

صديقي يحيى! لقد وصلنا إلى أن دعوة الأنبياء والرسل جميعاً و دعوة السيد المسيح ضمناً كانت تدعو إلى توحيد الله خالقاً ورباً للوجود الحادث.

يحيى: سأوافقك مع تحفظ، لأن الأمر له تفاصيل كثيرة.

عبد الله: لا أريد منك أن تتحفظ، ولا أريد منك الدخول في التفاصيل،أنا أريد أن أعرف موقفك بصراحة من مفهوم لا إله إلا الله، التي تعني أنه لا خالق ولا رب أعلى في الوجود إلا الله، وبالتالي وجب توحيده بالعبادة. فهل تعتقد بوجود خالق مدبر غير الله ﷻ؟

يحيى: لا! لا أعتقد بتعدد مفهوم الخالقية. فالخالق المدبر هو واحد.

عبد الله: يكفيني الآن هذا الجواب لأصل وإياك إلى أننا متفقان على **قاعدة الإيمان بتوحيد الله ﷻ والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح.**

وهذه القاعدة أرضية صلبة تجمعنا، ومنها نكون قد دخلنا معاً إلى دائرة دين الله ﷻ الذي سماه الخالق الإسلام، فالله لم يُنزِّل إلا ديناً واحداً، وهذا واضح من خلال ثبات مفهوم التوحيد في كل دعوات الأنبياء والرسل، **فلم يأتِ نبي أو رسول لينقض أساس دعوة من سبقه من الأنبياء والرسل، وإنما جاء ليقررها ويجددها مع بعض التعديل في التشريعات لتغير الأحداث. وهذا يعني أن النقاش والحوار ليس بين أديان، وإنما النقاش ضمن دائرة الدين الواحد، وبالتالي من الخطأ نشر مقولة تعدد الأديان والدعوة إلى التقريب بينها. وإنما ينبغي أن يكون النقاش والحوار ضمن دائرة الدين الإلهي الواحد، والدعوة إلى التعارف والتعايش والتعاون للنهضة بالمجتمع ضمن رؤى متعددة ثقافياً، فالدين واحد والرؤى الثقافية متعددة.**

يحيى: كلام جميل لو كان سائداً بين الناس، ولكن ويا للأسف السائد بين الناس هو إزالة الآخر وسحقه والحكم عليه بالكفر، وبالتالي فالقاعدة عند الناس

قائمة على توحد الرؤى ورفض الآخر، وبالتالي كرهه والحقد عليه وعدم السماح له بالعيش رغم أنه ينتمي إلى المجتمع ذاته ويحمل صفة المواطنة.

عبد الله: صديقي يحيى! إذاً؛ اتفقنا على الأساس الذي يجمعنا وهو أكبر من المسائل المختلفة بيننا، لذا؛ ينبغي أن نستمر بالحوار والنقاش على ضوء ما بلغناه، وسواء وصلنا إلى الاتفاق والقناعة أم اختلفنا في الرؤى فالأساس سيظل قائماً والعلاقة راسخة بيننا على **مقومات التعارف والتعايش والتماسك**.

يحيى: إن وعي هذه الأهداف الثلاثة يخلق جواً نظيفاً منفتحاً على الآخرين، ومعرفة ما عند الآخر، والاستفادة منه في التلاقح الفكري، ويختفي العنف والإرهاب والتكفير ونبذ الآخر، وتسود قيم المحبة والسلام والتفكير والقَبول بالرأي الأخر.

عبد الله: لنتابع الحوار بمحبة وسلام. صديقي يحيى! السيدة مريم البتول إلى أي قوم تنتمي؟

يحيى: لا شك أن قومها بنو إسرائيل من آل عمران.

عبد الله: ماذا كان لسان بني إسرائيل؟

يحيى: كانت لغتهم العبرية.

عبد الله: إن السيد المسيح من بني إسرائيل وبُعث فيهم،ولم يبعث إلى اليهود، ولسان النبي عيسى عليه السلام هو اللسان الآرامي، والإنجيل نزل باللسان الآرامي، وليس بالعبري كما هو شائع وحاول اليهود ترويج ذلك.

يحيى: لا يوجد عندي علم بهذا!.

عبد الله: هل كُتبت الأناجيل في عهد السيد المسيح؟

يحيى: لم تُكتب الأناجيل في عهد السيد المسيح، وإنما كتبت بعده بمدة.

عبد الله: أي لسان اعتمد لكتابة الأناجيل الأولى؟

يحيى: أظن اللاتينية أو غيرها، لا أدري!.

عبد الله: هل تمت كتابة الإنجيل بحضور السيد المسيح؟.

يحيى: لا، لم يُكتب بحضرته.

عبد الله: صديقي يحيى! ألا ترى أن مادة الوحي الإلهي غير قابلة للنقل من لغتها المنزلة إلى أي لسان آخر، بمعنى أن مادة الوحي عندما تترجم إلى لسان آخر تفقد صفة القداسة وصفة الوحي، وتصير من باب الشرح والترجمة المتأثرة بفهم المترجم، وبالتالي يسقط الاستدلال بها وخاصة باستخدام المفردات.

يحيى: ربما! لا جواب عندي.

عبد الله: ألا ترى أن كتابة الأناجيل في مجملها هي عبارة عن سيرة السيد المسيح كيف عاش؟ وأين ذهب؟ وبمن اجتمع، وماذا قال، وماذا حصل معه،وذلك من وجهة نظر الكاتب؟ هذا غير تعدد النسخ المكتوبة واختلافها عن بعضها؟.

يحيى: نعم إنها كذلك.

عبد الله: هل أتباع المسيح اسمهم النصارى أو المسيحية؟

يحيى: ( مستغرباً) وهل يوجد فرق بينهما؟

عبد الله: نعم؛ والفرق بينهما كبير.

يحيي: وماهو الفرق؟

عبد الله: النصارى جمع لمفردة (نصران) التي تدل على صفة مشبهة باسم الفاعل، وهي لازمة لصاحبها لاتتجاوزه، مثل سكران ومرضان وحيران... الخ، والنسبة لها (نصراني)، ولا علاقة لها بكلمة (أنصار) التي مفردها(ناصر) وهي اسم فاعل ومتعدية، كما أن النسبة إلى مدينة الناصرة ناصري، وليس نصراني.

يحيي: فرق جميل، وأنا أول مرة أسمع به!،وأريد منك الفرق بينهما على أرض الواقع؟

عبد الله:حُبّاً وكرامة، **النصران** كلمة تدل على حال الإنسان عندما ينصر فكرته على الآخرين تعصباً لها دون برهان.

أما كلمة **ناصر**: فتدل على من يؤمن بفكرة الآخر وينصرها.

وأتباع المسيح كانوا أنصاراً له، وليس نصارى.وبالتالي فكلمة نصارى ذم وقدح.

يحيي: إذن أتباع المسيح اسمهم أنصار وليس نصارى!.

عبد الله: وإن شئت سمَّيتهم مسلمين لأن أتباع الأنبياء جميعاً دينهم الإسلام، أو مسيحيين نسبة لصفة المسيح عيسى بن مريم،وذلك بشرط أن يكونوا موحدين الله الخالق المدبر ذاتاً وصفات، وكافرين بالثالوث.

يحيي: هل أفهم من كلامك أن الذين يؤمنون بالثالوث ليسوا من أتباع المسيح، ولايصح تسميتهم مسيحيين!؟

عبد الله: نعم، فهم نصارى وليسوا مسيحيين، ولا مسلمين،وإنما هم من أهل الكتاب.

يحيى: أليس أهل الكتاب هم أهل التوراة والإنجيل؟

عبد الله: لا؛ فأتباع التوراة والإنجيل اسمهم مسلمين من أتباع موسى وعيسى عليهما السلام.

يحيى: عجباً! فمن هم أهل الكتاب؟

عبد الله: أهل الكتاب مفهوم قرآني يُقصد به كل مَن اتخذ مع كتاب الله مرجعاً آخر يعتمد عليه في تشريع الحلال أو الحرام،ويُسمى ذلك **شرك في الكتاب**؛ انظر إلى قوله تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام121

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ } يوسف106

والإيمان تصديق وطاعة وإتباع لأوامر الله فقط،بينما أهل الكتاب يُضيفون لذلك طاعة وإتباع لأوامر غيره من رجال الدين والكهنوت في الحلال والحرام،وبذلك العمل اتخذوا مرجعاً في دينهم غير كتاب الله،فصاروا أهل الكتاب،وهم في الواقع اليهود والنصارى، وغيرهم ممن أشرك مع كتاب الله مرجعاً آخر في الحلال والحرام.

يحيى: لا أريد أن أدخل في التفاصيل كثيراً، فالأمر بدأ يتشعب كثيراً رغم أهميته، فلنرجع إلى مفهوم الثالوث.

عبد الله: هل كلمة الأقانيم، أو اللاهوت، أو الناسوت، أو الثالوث قد تم استخدامها في الكتب الإلهية، ومنها الإنجيل الذي أنزله الله، وليس الذي أُعيد صياغته على أيدي الكتبة؟

يحي: لا! لا يوجد في جميع الكتب الإلهية مثل هذه الألفاظ، وإنما ورد مفهومها بصيغة أخرى.

عبد الله: دعني من المفهوم لأنه رأي من قال به، وأنا أريد الواقع على ما هو عليه الذي يدل على أن هذه المفردات لا وجود لها في دين الله عَجَلّ الذي نزل على جميع الأنبياء والرسل ومنهم السيد المسيح. وهذا يدل على أن هذه المفردات قد تم إدخالها في الخطاب الديني الفلسفي لترويج مفاهيم جديدة غير موجودة سابقاً في الكتب الإلهية، ولم يدع إليها أحد من الرسل أو الأنبياء ، ومنهم السيد المسيح.

يحي: إنك لا تدعني أناقش مفهوم الثالوث كيف تم، وحصل!.

عبد الله: سوف نناقش ذلك آجلاً، ولكني أريد أن ألخص أهم النقاط التي وصلنا إليها.

1- كان الله ولا شيء معه ، إله أحد صمد حي قيوم.

2- الله خالق السموات والأرض.

3- الله لم يلد ولم يولد.

4- دعوة جميع الأنبياء والرسل ومنهم المسيح كانت توحيد الله وعبادته.

5- عيسى بن مريم من ذرية آل عمران بُعث في بني إسرائيل، ولا علاقة له باليهود.

6- لسان السيد المسيح هو الآرامي، وهو مرحلة تطور وأصل للسان العربي الحديث.

7- الإنجيل الأصلي لسانه آرامي(عربي).

8- مادة الوحي تفقد خصائصها القدسية إذا تُرجمت إلى لسان آخر.

9- إن مفردات الثالوث واللاهوت والناسوت والأقانيم مصطلحات تم إدخالها في الخطاب الديني الإلهي، وهي غير مستخدمة في الكتب الإلهية كافة ، ولم تجر على لسان أي نبي أو رسول ،وبالذات السيد المسيح.

10- العلاقة بين الأنبياء والرسل علاقة تكامل وتجديد وتواصل، لا يهدم اللاحق السابق ولا ينقضه، وذلك لوحدة المصدر والهدف.

11- الله أنزل ديناً واحداً بشرعين:

**الأول**: شرع إنساني(إسلامي) بدأ نزوله مع أول رسول أرسله الله للناس، واستمر نزوله عبر الرسل بصورة متنامية حسب ما يسمح المستوى المعرفي للناس إلى أن بُعث النبي محمد فنزل عليه القرآن، وبه أعاد المولى تبارك وتعالى كل ما نزل في الكتب السابقة من شرع إنساني وأكمله ليصير القرآن الكتاب الجامع الكامل للشرع الإسلامي، وإكمال الرسالة اقتضى ختم النبوة، وجُعل صفة هذا الشرع الإسلامي حدودي ليواكب التطور ويغطي المستجدات من خلال تحرك المجتمع بين الحدود بما يناسب ظروفهم الزمكانية.

**الثاني**: شرع(تاريخي) قومي عيني ظرفي مرحلي مؤقت تقلص مع الزمن إلى أن نُسخ كلياً.

لذا؛ نشاهد في هذا الشرع العيني بعض الأحكام التي أتت عقوبة لبني إسرائيل وعندما بُعث عيسى ﷺ تم تعديل هذه الأحكام في الإنجيل. لذا؛ لم يحتوِ الإنجيل شرعاً كاملاً لأنه يجب ضمه إلى التوراة، وتعديل التوراة بحسبه.

يحيى: أنت لم تتحدث بعد عن الثالوث!.

عبد الله: **إن عقيدة الثالوث قد تم اختراعها في عهد قسطنطين، وهي نتيجة دمج عقائد وثنية فلسفية سابقة بعقيدة التوحيد ،فوصلوا إلى هذه العقيدة الغامضة، الله واحد بثلاثة أقانيم. وينبغي أن تُلحق بالمستحيلات التي ذُكرت بالتراث** وهي: ***الغول، والعنقاء، والخِلّ الوفي.***

***وأضاف إليها أحد العلماء نظرية الكسب عند الأشعري لتناقضها مع بعضها وعدم تماسكها. وأضيف أنا إليها مفهوم الثالوث! .وأتحفظ على الخلّ الوفي.***

يحيى: مهلاً يا صديقي لم أذكر لك بعد مفهوم الثالوث، فكيف تحكم عليه سلفاً.

عبد الله: حكمت عليه سلفاً بما ظهر لي من برهان ونور ساطع. ومع ذلك سوف أصغي إليك لعلك تأتي بما لم يأت به الأوائل من أدلة وبراهين.

يحيى: نعم! لقد جاء دوري وتركتك تصول وتجول في الميدان وحدك.

صديقي عبد الله! إن المسيح كلمة الله وروح منه ، ولقد جاء إلى الدنيا من غير والد كما تعلم أنت، ويعلم الجميع ذلك. فأول أمر هو أن كلام الله صفة أزلية له، وأنتم تعتقدون بأن القرآن كلام الله، وهو أزلي في الوجود غير مخلوق، ومع ذلك لم تروا ذلك كفراً أو شركاً! فكيف تكون عقيدتكم بأن القرآن كلام الله أزلي غير

مخلـوق، إيمانـاً وتوحيـداً! وتكـون عقيـدتنا بـأن يـسوع كلمـة الله في الأزل غـير مخلوقة، كفراً وشركاً؟

عبد الله:دعني أجب على هذه الشبهة قبل أن تستمر حتى لا تتراكم الأفكار ويصعب الرد عليها أو تضيع منا.

يحيى: لا بأس بذلك، أخبرني لماذا مفهومكم عن أزلية القرآن توحيد وإيمان، وأزلية كلمة الله (يسوع ) شرك وكفر؟

عبد الله: صديقي يحيى! إن في خطابك تعميم، وذلك بقولك: (أنتم تعتقدون) والأمر ليس كذلك يا صاحبي، فالمسألة مختلف عليها بين المسلمين، وما ذكرته هو رأي من الآراء لا يمثل المفهوم القرآني، **ولا قيمة برهانية للكثرة أو الشهرة في الحوار أوالنقاش**. فأنت تعلم أنه يوجد فرقة من المسلمين يخالفون ذلك الرأي، ويقولون: بأن القرآن مخلوق. وهم المعتزلة وهم من أقوى الاتجاهات الإسلامية التراثية علماً وتفكيراً. لذلك لا يصح أن تأخذ ما يدعم فكرتك وتعرض عن الرأي الآخر.

صديقي يحيى! النقاش بيننا فقط، فأرجو منك ألا تدخل فيه آراء فرق أنا لا أعتقد بها، وغير مسؤول عنها.

والرأي الذي أعتقده وأراه صواباً في هذه المسألة هو:

**إن صفة الكلام لله ﷻ صفة فعلية وليست ذاتية**، وهي توجه إرادة الله نحو مقاصد معينة يريد أن يخبر بها أحداً من رسله، فيستخدم اللسان ليحمل المعاني والمقاصد الإلهية، واللسان كما تعلم نتاج تفاعل الإنسان مع واقعه، فهو مخلوق،

وبالتالي محدود. **فألسنة التوراة والإنجيل والقرآن مخلوقة**، وليس لها صفة الأزلية في الوجود.

يحيى: إذا سلمت لك بأن مادة الوحي مخلوقة، فما قولك بالمعاني والمقاصد الإلهية قبل أن يتم اختيار لسان ليحملها، أليست أزلية غير مخلوقة؟

عبد الله: إن القول بأزلية المعاني والمقاصد والصور لمادة الوحي قبل تموضعها في لسان يعني أن هذه الأمور موجودة ذاتياً مع الله وليست إبداعاً، لأن الأزلية تعني الوجود دون بداية التي تقتضي الاستمرار إلى مالا نهاية، وإذا كان الأمر كذلك انتفى عن الله أنه أراد تلك المعاني والصور والمقاصد. لأن الأمر إذا تعلق بإرادة الله صار حادثاً في الوجود له بداية. فالمعاني والمقاصد والصور إذا كانت إبداعاً فهي متعلقة بإرادته، وبالتالي هي حادثة وليست أزلية، أما إذا كانت أزلية فهي مع الله وليست إبداعاً، وبالتالي خارج إرادته. وهذا يعني وجود هذه المقاصد والصور مثل السماء والأرض والجبال والحيوانات وغير ذلك بصورة أزلية غير قابلة للتعديل أو الإبداع، و الله ملزم بها لا يستطيع تجاوزها أبداً!.

**ومن يقول بأزلية التوراة والقرآن وكلمة الله ( عيسى ) ينطبق عليه ما ينطبق على المسألة السابقة فهو يَصم الله بالعجز والمحدودية ،وينتقص من الإرادة والعلم والقدرة المطلقة لديه ،ويقر بوجود تعدد للجهة الأزلية!.**

أما كلمة ( كن ) التي يقولها الله ﷻ في إيجاد ما أراد، فينبغي العلم أولاً أن الله ليس كمثله شيء أبداً، فعندما نقرأ أو نسمع أو نستخدم في خطابنا جملة (قال الله) لا نعني أن عملية القول الإلهي هي ذات عملية القول الإنساني بحيث تحتاج

إلى لسان وشفتين وصوت ولغة. **فالله ﷻ يتكلم دون حرف وصوت**، وعندما يريد أن يكلمَ مخلوقاً يستخدم الله ﷻ **نظام الاتصال والمعرفة عند المخلوق،** ويأمره وينهاه ويخبره بما يريد عن طريق الوحي الإلهي. ومثل ذلك مثل لسان القرآن العربي فهو مخلوق من حيث الأحرف والأصوات والنظام، أما محل تعلق الخطاب، فذلك راجع إلى المعاني الكامنة في الكلمات، فإن كانت متعلقة بالذات الإلهية نحو كلمة (حي قيوم) فلا شك أن مدلول هذه الكلمات أزلي دون الأحرف والأصوات، أما إذا كانت متعلقة بحوادث مثل كلمة ( السموات والأرض والنجوم والكواكب... ) فلا شك بحدوثها خلقاً، ومن ثم أطلق عليها الأسماء، لأن الأسماء توجد بعد المسميات، **فتكون الكلمة المتعلقة بحادث حادثة لفظاً ومعنى. دالة ومدلولاً.**

فقول الله (كن) هو تعبير يدل على سرعة تحقيق الشيء، والأمر في حقيقته هو أن الأشياء توجد في الواقع بمجرد أن تتجه إرادة الله نحو الخلق والإيجاد، فيكون الشيء وفق الإرادة. لذلك يقول بعض العلماء: **إن أمره بين الكاف والنون**. أي بمجرد أن تتوجه الإرادة نحو الشيء يكون في الواقع مباشرة صورة ممثلة لإرادة الله، **فلا يوجد عند الله مرحلة قبل الإرادة تُسمى التصور، وإنما إذا أراد شيئاً يقول له كن، فيكون حسب ما أراده مباشرة.**

فكلمة (كن ) بهذا الاعتبار لها وجهان:

**الأول: متعلق بالله إرادة وقدرة.**

**الثاني: متعلق بالمخلوق وجوداً وكينونة.**

فالمخلوقات كلها كلمات الله من هذا الوجه، ولكن لم تطلق كلمة الله على كل واحد بعينه لأنهم **وُجدوا بكلمة ( كن ) الأولى**، ومن خلالها تكاثروا وتوالدوا وتطوروا، **إلاّ عيسى بن مريم فقد وُجّهت كلمة ( كن ) خاصة له**، لذلك سمي كلمة الله، مثله، مثل آدم كلمة الله لأنه محل تعلق كلمة ( كن ) ابتداءً، بخلاف الآخرين فهم نتيجة كلمة (كن ) الأولى. فإطلاق كلمة الله على عيسى بن مريم لا يعني أنه أخذ الجانب الأزلي المتعلق بالله إرادة وقدرة، وإنما أخذ الجانب المتعلق بمحل الكلمة في الوجود. وبالتالي لا وجود لأي شبهة أو لبس في الموضوع أبداً، فالتوراة والإنجيل والقرآن كلام الله إرادة وعلماً، واستُخدم لسان الإنسان لاحتواء المعاني والمقاصد الإلهية.

أما كلمات الله فهي متعلقة بوجهين:

**الأول**: إذا كانت **مفردة الكلمة في سياق القول والخطاب** فيقصد بها الكلام الإلهي. نحو: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران( 64)

**الثاني**: إذا كانت **مفردة الكلمة في سياق الأمر والخلق** فيقصد بها الإيجاد والقانون الإلهي للخلق. نحو: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ

أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } النساء (171)

يحيى: هل أفهم من كلامك أنك تُكَفِّر كل من يقول بأزلية القرآن؟

عبد الله: لا! لا أكفر أحداً، ولكن ذلك لا يعني أن هذه العقيدة ليست بكفر. فالكفر قسمان:

**الأول: كفر سلبي يتمثل بتغطية الحق ومجانبة الصواب** ( موقف شخصي)، فيكون فاعله كافر صفة من جراء هذا السلوك، وما ينبغي قتاله،والعلاقة بيننا قائمة على العدل والسلام والحرية.

**الثاني: كفر حربي قائم على الحقد والعداء ورفض الآخر** ( موقف عدواني)، فهذا كافر ينبغي قتاله دفاعاً لرد عدوانه، ومن أجل رجوعه إلى العدل والسلام والحرية، لا من أجل إيمانه.

يحيى: إن يسوع هو روح الله تمثلت في جسم بشر لتتم عملية الفداء والخلاص نتيجة صلب الجسم ورجوع الروح إلى أصلها: اللاهوت.

عبد الله: إن هذا المفهوم غلط بَيِّن ،وهو ناتج عن سوء فهم لكلمة الروح ،إن كلمة الروح تدل من خلال دلالة أصوات أحرفها على تكرار وضم منته بتأرجح تلك العملية، ومجموع دلالة هذه الأصوات في الواقع يدل على السنن والنظام الذي يحكم الأشياء. فالروح هي نظام الشيء الذي يحكمه. فعندما **نقول: روح الإنسان. لا نقصد نفسه، وإنما نقصد النظام السنني الذي يحكم الإنسان. وعندما يموت الإنسان لا تخرج روحه، وإنما تخرج نفسه وفق نظام، كما أن**

**بقاءها في جسم الإنسان كذلك وفق نظام، فالروح تحكم الإنسان حياً وميتاً. وكل شيء في الوجود الحادث من الذرة إلى المجرة خاضع للروح، وروح الذرة غير روح الخلية، وكل هذه الأمور في النهاية تخضع لروح كلية تحكم الوجود الحادث**، لذلك نجد القرآن قد استخدم الروح وأطلقها على ثلاثة أمور وهي:

1- **القرآن**: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } الشورى( 52 )،كون القرآن يحتوي على نظام ينبغي على المجتمع الإنساني أن يخضع له طوعاً. وإذا تم ذلك فهذا المجتمع مجتمع روحاني. و إذا لم يخضع المجتمع لهذا النظام التشريعي يكون قد خرج عن روح الله وأخلد إلى الأرض وعاث فيها فساداً وكفراً وسار في طريق مخالف للروح سيقوده إلى هاوية الضنك والاضطراب.

2-**جبريل**: وسمي روحاً لحمله مادة الوحي ومتابعتها.

{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } (الشعراء 193)

3-**الأمر**: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا} (الشورى 52 ) وأمر الله في الوجود هو النظام السنني الذي يتم بموجبه الإيجاد والإمداد ،وعندما سُئل النبي عن الروح أمره الله أن يقول: الروح من أمر ربي {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } الإسراء(85)، فلم يقل له: قل إن الروح أمر

لا يمكن معرفته أو العلم به، أو السؤال عنه. بل أجابه بجواب جامع مانع إن الروح من أمر الرب. **فإذا عرفنا أمر الرب عرفنا الروح**.

أمر الرب في الواقع على وجهين:

**الأول: أمر الرب الكوني**{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } النحل (12)

**الثاني: أمر الرب الشرعي**{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } البينة( 5 )

**وكون الروح من أمر الرب يعني أنها مستغرقة في نوعي أمر الرب، الكوني والشرعي. فالعلم بسنن الكون هو علم بروحه، والعالم به عالم روحاني كوني. والعلم بشرع الله هو علم بروحه، والعالم به عالم روحاني شرعي، والعالم بكليهما هو عالم رباني ،كونه ضم الروح الكونية إلى الروح الشرعية وسَيَّر نفسه وفق النظام الروحي طوعاً.**

فقولنا: إن عيسى من روح الله{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } النساء (171)، بمعنى أن عيسى قد صار نبياً وهو في بطن أمه لأن النبوة علوم، فبثت بعض العلوم الكونية والشرعية في عقل عيسى وهو مازال صغيراً، وعندما كبر مارس تلك العلوم وظهر على يديه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، **وكل**

**ذلك بإذن الله، وليس بإذن عيسى، وإذن الله هو سلطان ونظام يعطيه للإنسان**.والنفخ من الروح ليس أمراً خاصاً بعيسى، وإنما كان لآدم أيضاً {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ } الحجر (29).

**ولا علاقة لكلمة روح بذات الخالق أبداً،وإنما هي متعلقة بالسنن والنظام الإلهي،** وبالتالي لا وجود لأي شبهة حول اتحاد أو حلول الله في عيسى اعتماداً على مفهوم الروح، **غير أن الاتحاد أو الحلول الإلهي في شيء حادث باطل في الواقع،** لأن الله أزلي في وجوده وصفاته وهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، فكيف يتحد أو يحل الأزلي اللامتناهي في المحدود المتناهي؟ فهذا يقتضي ضرورة الخضوع لصفة المحدود، والله منزه عن ذلك لأنه أحد صمد ليس كمثله شيء، وإذا حصل ذلك فرضاً، فالهلاك للإله هو النتيجة الحتمية لتلك العملية الاتحادية أو الحلولية، لأن ذلك ينقض صفة الأزلية، **بمعنى آخر يندمج الفاعل بفعله ويأخذ صفته،أو يصير للفعل صفات الفاعل وكلاهما باطل.**

يحيى: إن الله اتحد بالمسيح مع بقائه إلهاً واحداً، فصار يسوع من هذا الوجه لاهوتياً مع المحافظة على الجانب الناسوتي فإذا نظرت إلى يسوع من جهة اللاهوت فهو الله، وإذا نظرت له من جهة الناسوت فهو إنسان ابن الله، والعلاقة بين اللاهوت والناسوت تمثلت بالروح، ومن هذا الوجه ظهر مفهوم الثالوث: الأب والابن وروح القدس إله واحد.

عبد الله: صديقي يحيى! تريث بطرح المفاهيم، وحدد لي ماذا تقصد بقولك: ( اتحد الله بعيسى مع بقائه إلهاً واحداً)؟

يحيى: ألا تقولون أنتم أن الله معنا بذاته بلا كيف، وينزل إلى السماء الدنيا دون أن يخلو العرش منه، ودون أن يدخل في خلقه،وأشباه هذه المقولات، وما أكثرها في عقيدتكم. فلماذا تستنكر قولي وهو مثل قولكم تماماً. **فالله اتحد بيسوع مع بقائه إلهاً واحداً وذلك بلا كيف!.**

عبد الله: لقد عدت إلى التعميم بقولك ( أنتم...وعقيدتكم ) صديقي هذه العقائد هي رأي من آراء المسلمين، دخلت بتأثير الثقافات الأخرى الوافدة عليهم، وليست قرآنية، ولا محل تسليم، وأنا لا أعتقد بها، بل أعتقد ببطلانها تماماً لتصادمها مع مقومات الإله ، والقواعد العقلية، فهي مثل **قول أحدهم: هل يستطيع الله أن يخلق صخرة يعجز عن حملها؟. أو هل يستطيع الله أن يدخل في عنق زجاجة؟** وما شابه ذلك من المغالطات العقلية، فهذه الأقوال هراء وسفسطة متهافتة، وهي ليست بسؤال أصلاً، والسائل لا يوجد عنده تصور أو فهم لمضمون السؤال، **فهو مثل من يقول: هل تستطيع أن تثبت أن ضلعين في المثلث متوازيان؟. فهذا القائل لا يوجد عنده تصور للمثلث، ولو كان يملك تصوراً صائباً للمثلث لما سأل هذا السؤال، فمعلوم أنه لا يوجد في المثلث خطان متوازيان، ولو وجد فيه خطان متوازيان لانتفى المثلث من الوجود!. ومقولات من هذا القبيل لا قيمة لها، فهي ترهات.**

وفي عودة إلى المنطق السليم، اسمح لي يا صديقي يحيى أن أسألك: هل اتحاد الله بعيسى كان قبل الولادة أو بعد الولادة؟

يحيى: أظن قبل الولادة!

عبد الله: هذا الكلام يعني أن الله دخل إلى رحم السيدة مريم، وخضع لقانون الولادة، وصارت السيدة مريم والدة الله، لذلك كثيراً ما نسمع رجال الدين في الكنيسة وأتباعهم يخاطبون **السيدة مريم بقولهم: يا والدة الله!** وكان ينبغي أن **تصير مريم أقنوماً رابعاً يضاف إلى الثالوث**، لأن مريم حملت الإله في رحمها!، مع العلم أنك منذ البداية وافقت على أن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد. فكيف تقول أن مريم وَلدت الله!ثم تجلت بعد ذلك شخصية عيسى الناسوتية، وهذا يفرض سؤالاً:عيسى الناسوت أهو إنسان كامل أم جسم فقط؟

يحيي: ماذا تقصد بقولك إنسان كامل أو جسم فقط؟

عبد الله: أقصد ماهية عيسى أهو نفس وجسم، أم جسم دون نفس؟

يحيي: طبعاً هو إنسان كامل مكون من نفس وجسم.

عبد الله: إذا كان عيسى نفساً وجسماً، والله حل في جسم عيسى فمعنى ذلك **وجود نفس عيسى ونفس الله في جسم بشري واحد**، وصارت نفس الله من جنس نفس عيسى محدودة وعاجزة وضعيفة خاضعة لقوانين الجسم، وبقيت نفس الله حبيسة في جسم عيسى غير فاعلة إلى أن كبر، وبعد ذلك إلى أن مات، فتحرر الله من جسم عيسى وصعد إلى السموات. **فإذا كان الله متحداً مع عيسى، أين ذهبت نفس عيسى بعد موته وارتحال نفس الله من جسمه؟**

يحيي: نحن نقول أن يسوع قام من قبره بعد موته وصعد إلى السموات وجلس إلى يمين أبيه الإله.

عبد الله: إذاً؛ تقولون أن عيسى نفساً و جسماً صعد إلى السموات وجلس إلى يمين الرب، وهذا يعني أن عيسى بصورة ناسوت صار إلهاً ورباً ،لأن نفس الله قد انفصلت عنه عند موته. **وأنتم تقولون: إله واحد قبل الثالوث وبعد الثالوث، ولكن الملاحظ أن الآلهة عندكم متعددة وهي ثنائية متمثلة بذاتين نفس الله، ونفس عيسى، أما روح القدس فهو إله غير متموضع لا بنفس الله، ولا بنفس عيسى، لأن الروح كما تقولون هي العلاقة بين اللاهوت والناسوت، فهي قائمة بنفس الله وبنفس عيسى مؤرجحة بينهما**، فهي ليست بإله، وإنما علاقة الله ببعضه، لأن تمثل نفس الله بجسم عيسى هو تمثل ألوهي. وعند موت عيسى وارتفاعه إلى السماء كان ينبغي أن ترجع الأمور إلى أصلها من حيث اللاهوت والناسوت، بمعنى أن يأخذ الله الجزء الإلهي الموجود في عيسى ليصير اللاهوت منفصلاً عن عيسى، ويصير عيسى ناسوتاً فقط! ولكن الذي فعلتموه أنكم أصعدتم عيسى إلى يمين الرب، وحافظ على اللاهوت بجانب الناسوت فصار إلهاً ثانياً مؤلفاً من لاهوت وناسوت بصورة منفصلة عن الرب. **وصار مقام الإله ثنائياً، الإله الأول متمثل بالأب، والإله الثاني متمثل بالابن عيسى الناسوتي.**

وفي ضوء هذه القناعات يبرز السؤال المهم: هل الإله عيسى له صفة الإله الأول من حيث التصرف والفعل لما يريد؟

يحيى: نعم! فهو يخلق ويحي ويميت، ودليل ذلك الفعل الذي صدر منه في الواقع، وأنتم تتلون في القرآن ذلك.

عبد الله: أنت تقبل الاستدلال بالقرآن؟

يحيى: لا! لا أقبل.

عبد الله: إذاً؛ لا تأتي على ذكره أبداً لأن القرآن صريح العبارة في عيسى وأمه وأنهما بشريان مثل سائر البشر، **وما من إله إلا الله الواحد الأحد، لم يتخذ ولداً،وما ينبغي له ذلك.** فمن الخطأ أن تأخذ بعض الآيات التي ينم ظاهرها نتيجة الفهم السطحي عن صواب فكرتك نحو قوله تعالى{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } آل عمران( 49) مع وضوح الآية في آخرها عندما جاءت كلمة عيسى الحاسمة: (بإذن الله) **فهو لم يقل: أنا بقدرتي وقوتي أخلق لكم طيراً. وإنما قال: بإذن الله.**

**هذا الفهم الذي يقف عند حدود الظواهر يذكرني بالفينومينولوجيا (فلسفة الظواهر) البدائية قبل أن يحاول هيغل الارتقاء بها عبر طرح يتبنى تتالي الأشكال الملموسة لتجلي الروح المطلق.**

وبعيداً عن هذه الفلسفات؛ من حيث الجوهر لا يختلف عاقلان أن الخالق الحقيقي هو الله ﷻ وقد أجرى هذه الآيات على يد عيسى لإثبات نبوته. **فلو كان عيسى إلهاً يُحيي ويميت لدفع عن نفسه الموت والأذى والسخرية والعذاب والطرد! وما ترك الأرذال ( اليهود ) ينكلون به وهو الإله العظيم!.**

**إنني أجلّ المسيحية كمرحلة إسلامية عن التصورات الفيتشية (إضفاء على الشيء صفات غيبية خارقة) الساذجة** التي تخفض ولا ترفع، وتضر ولا تنفع.

صديقي يحيى! إن ( الأقانيم ) التي مفردها ( أقنوم ) كلمة تدل على ذات وصفة. وأنتم تقولون: الله بثلاثة أقانيم إله واحد. فكيف يتحقق ذلك في الواقع دون غموض وتلاعب بالألفاظ؟

يحيى: نحن نقول: **إن الله واحد بثلاثة أقانيم**، ونضرب على ذلك مثلاً **الشمس ونورها وحرارتها وأشعتها**. فإذا قلنا الشمس تصورنا مباشرة بعقلنا بصورة لازمة **صفاتها الثلاث: النور والحرارة والأشعة**. وإذا قلنا: النور والحرارة والأشعة. تصورنا مباشرة الشمس. **ومن هذا الوجه نقول: واحد بثلاثة، وثلاثة بواحد**. والوجود كله قائم على هذا الوجه. **نظام واحد كلي متعدد الظهور**. وتعدد الأنظمة لنظام واحد. بمعنى آخر وحدة الوجود بصوره المتعددة.

عبد الله: كنت قد طلبت منك ألا تلعب بالألفاظ، وأن تكون واضحاً وصريحاً، ولكن أبيت إلا الغموض والالتباس واللعب بالألفاظ! صديقي! إن الأقنوم ذات وصفة مجتمعين مع بعضهما، بينما في حديثك ذكرت الشمس كمثال و**جعلت الأقنوم تارة ذات، وتارة صفة**، فنور الشمس ليس هو الشمس ذاتها، وإنما هو صفة للشمس، ولا يصح أن نطلق على النور اسم الشمس، أو نتعامل معه كأنه شمس. فمن المعلوم أن الصفة لا وجود لها بصورة مستقلة عن الموصوف. **فالموصوف هو الأصل الذي له وجود حقيقي والصفة قائمة به**. ولو كان اعتقادكم بالأقانيم مثل ما ذكرت أي صفات ثلاث لموصوف واحد فهذا كلام يهدم عقيدة الثالوث كلها من أصلها ونحن **نقول: إن صفات الله غير محصورة بثلاث صفات فهو خالق ورازق ومحي ومميت ورحيم وعزيز وحي وقيوم...**

**الخ**، ولكن لسان حالكم ومقالكم ليس كذلك بل تقولون وتعتقدون بدلالة الأقنوم ذاتاً وصفة معاً، ومن هذا الوجه تتوجهون بالدعاء والعبادة لذات عيسى وتصفونه بالإلوهية، وكذلك والدته، وتقولون: **يا والدة الإله**. لذا؛ لا قيمة لطرحكم السفسطائي لمحاولة فلسفة الثالوث، **فكيف ما طرحتم فهو في النهاية ثلاثة آلهة، سواء بدأتم بالتوحيد أم انتهيتم بالثالوث بقولكم: إله واحد**. مع العلم أن صفات الشمس المذكورة تنفصل عنها، لأن الشمس جرم محدود قابل للتبعيض فتخرج الحرارة منها بصورة منفصلة عنها تماماً، بحيث يتعذر الزعم أن الحرارة هي الشمس. فهل الإله العظيم عندكم قابل للتبعيض وفصل شيء منه، وهذا الشيء المنفصل هو جزء من كُلٍّ ضرورة، فهل لهذا الجزء مواصفات إله كامل؟ والقول بذلك يفتح باباً كبيراً من الهراء والسفسطة. نحو قول بعضهم: إذا حل أو اتحد الله بعيسى الناسوت يمكن أن يتحد بأي ناسوت آخر! وربما حصل ونحن لا ندري! لذلك لا عجب أو غرابة من ادعاء بعض الرجال خلال الزمان مقام الرب أو الألوهية، لعل الإله حل أو اتحد بهم بصورة جزئية أو كلية ونحن لا ندري! وعلى رأس هؤلاء الطواغيت فرعون فقد ادعى الألوهية{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي } القصص(28)، والإله الذي يحل أو يتحد بناسوت مع بقائه إلهاً واحداً يستطيع أن يحل أو يتحد بناسوت بصورة كلية ليصيرا إلهاً واحداً. فمن يمنعه من ذلك { إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }هود107!؟.

**إذاً؛ عقيدة الثالوث باطلة لقصورها وتحديدها بثلاثة أقانيم فقط، وكان ينبغي فتح التعداد إلى مالا نهاية من الأقانيم!.**

**أما من وجهة نظر العلم والواقع فإن عقيدة الثالوث باطلة وظلم كبير للحقيقة الأحدية، و تُمَثِّل أكبر عملية كفر بالحق، غير أنها لا تنهض إلى مستوى شبهة فكرية لتوضع على طاولة البحث والنقاش، لذا؛ لم يناقش الله النصارى في ذلك، وإنما قال لهم: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }**المائدة73

يحيى: ولكن نبيكم محمداً مدح النصارى في القرآن!.

عبد الله: عدت إلى الاستشهاد بالقرآن وأنت لا تعتقد به.

صديقي يحيى! إذا كان النبي محمد صادقاً في إخباره بأمور متعلقة بالنصارى من مدح وغيره، فهذا يقتضي صدقه في كل أخباره، وإذا لم يكن صادقاً فما ينبغي الاستدلال ببعض ما نزل عليه من آيات وترك الباقي! فلقد ذكرت لك سابقاً **أن النص القرآني أدان عقيدة الثالوث وحكم عليها بالكفر، وطالب أصحاب القول بالانتهاء عن ذلك وإلاّ ليمسنهم عذاب أليم!.**

يحيى: لقد أربكتني وضيعتني طريقة نقاشك للموضوع.

عبد الله: أنت ضائع قبل النقاش، وفي النقاش، ومازلت كذلك. أتعلم لماذا يا صديقي؟

يحيى: لماذا! يا ترى؟

عبد الله: لأنك تفكر بعقل غيرك، وتتبع رجال الدين وتسلم زمام أمورك لهم، وتردد أقوالهم دون دراية، وتصدق كل ما يُقال عن القرآن من شبهات

وافتراءات، **وينبغي عليك أن تعتمد على العلم والواقع والفطرة في إيمانك بتوحيد الله الخالق المدبر**.

يحيى: ماذا ينبغي أن أفعل؟

عبد الله: ارجع إلى إيمان الأنبياء والرسل ومنهم السيد المسيح. فهل قال السيد المسيح: أنا الله!، وكان ينبغي أن يستخدم ضمير ( أنا ) في خطابه لو كان اللاهوت متمثلاً بناسوته، وهذا لم يحصل منه أبداً، لأنه بشر مثل سائر البشر، وهو عبد الله ورسوله، وأنت تعلم ذلك، فقد كان المسيح وأمه يأكلان الطعام ويذهبان إلى السوق وينامان، فهل يأكل الإله وينام ، بل ويتعذب ويتأذى ويُطرد ويُقتل ويُصلب... الخ.

{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } المائدة(116-117)

يحيى: لقد ذكروا لنا أن سبب انصهار اللاهوت بالناسوت إنما هو **لخلاص الناس لذلك ضحى الله بابنه الوحيد لينقذ الناس من الشيطان.**

عبد الله: ألا ترى أن هذا منطق أعوج؟ إذا كان الناس عصاة أو كفرة ما علاقة الابنّ في ذلك؟ وهل من المنطق والحكمة أن الرب الخالق المدبر ليغفر للناس أو يخلصهم— على افتراض وجود ابن له – يقوم بقتل ابنه الوحيد!؟ أليس الأمر أمره

وهو قائم بنفسه حي قيوم لا قوة فوقه، وهو فعَّال لما يُريد، وقادر على أن يغفر للناس دون هذه التمثيلية؟ أم يوجد قوة قاهرة له فقام بتقديم ابنه قرباناً ليُسْكِن غضب الجبار القاهر للجميع!؟

ومن هو الشيطان؟ وما هي قوته أمام قوة الله الخالق المدبر؟ أليس الشيطان من مخلوقات الله المحدودة العاجزة الضعيفة، أم أنه إله جبار شرير، له من القدرة ما يكفي لإجبار الله على التضحية بوحيده من أجل قهره، والأدهى من ذلك أن هذه التضحية الكبرى ضاعت هباء، فنحن ما زلنا . بعد الصليب بآلاف السنين . نخوض صراعاً دامياً مع الشيطان وزبانيته، وحسبك هذه الشرور والحروب التي تمزق البشرية وتهدد الكوكب بالدمار والتبار.

**<u>إن فكرة الخلاص والتضحية فكرة بدائية وثنية قديمة، وموغلة في تاريخ البشرية</u>**، فقد كانت الشعوب البدائية الوثنية تعبد مظاهر الطبيعة وتتزلف إليها بالقربان، دفعاً لضر أو جلباً لخير، وكانت تقدم القرابين للنهر إذا فاض وتجاوز حده، وذلك فداء وتضحية وإطفاء لغضب النهر أو إله النهر، ومارست هذه الطقوس ذاتها مع البراكين وغيرها من مظاهر الطبيعة.

صديقي يحيى! إن أصابت نفس الإنسان نجاسة، أو ملابسه قذارة، هل يتطهر إن قام غيره بعملية الطهارة؟

{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۞أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۞وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۞وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى ۞وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى } (النجم 36-42) فكل إنسان مسؤول عن عمله، وإلا بَطُل الثواب والعقاب، وفقد الله صفة العدل والحكمة.

***فكرة الثالوث، والتضحية بالإنسان، والفداء، مفاهيم وثنية، تفلسفت مع الزمن، وخاصة في مناطق الشرق الأقصى، لبعدها عن مهد الحضارات، وشدة الظلم الذي كان يمارس على شعوبها، فظهرت فلسفة وثنية تدعو إلى العزلة ونبذ الحياة، ووصفها بالنجاسة، والدعوة إلى الاندماج مع الحركة الكونية، ليعود الإنسان إلى محله من المنظومة الإلهية، لأنه في النهاية هو جزء من الإله اللا متناهي.***

***وقام قسطنطين الوثني؛ بتلقيح عقيدة النصارى القائمة على التوحيد بلقاح الوثنية، وخرج بعقيدة مشوهة غامضة، دمجت التوحيد بالتعددية، والتجريد بالتجسيم، فظهرت عقيدة الثالوث؛ بإله واحد، وتجسد الإله العظيم؛ بناسوت ضعيف محدود.***

وحرق قسطنطين الأناجيل التي تثبت إفراد الله بالإلوهية والعبادة، وتثبت بشرية السيد المسيح ونبوته، وطارد المخالفين له في أرجاء البلاد.

وللأسف تسللت عقيدة الفداء واتحاد الله بالإنسان إلى بعض الطوائف الإسلامية!!

**أما قول الفلاسفة الوثنيين: لا يوجد في الوجود إلا الرب المعبود**. فهذا القول؛ هراء، ومتهافت، وهرطقة، لأن الوجود ذاته يشهد على **وجود أزلي متمثل بالإله العظيم**، ووجود **محدود ضعيف متمثل بالمخلوقات**. أي وجود لفاعل قائم بنفسه، ووجود فعل يصدر عنه، **والفاعل غير الفعل، والفعل ليس الفاعل**، أما تسلسل عملية الخلق إلى الخلف والوصول إلى العنصر الأول الذي تم الخلق منه، نحو الفوتون الذي هو جُسيم وشعاع في الوقت ذاته، وعدم قدرة العلم على

رصد حركته إلا إذا افترض ثبوته في جهة ما. فقد استغل الفلاسفة الوثنيون هذه الأفكار، ووصلوا إلى أن الله الخالق؛ **في الحقيقة هو عين الوجود ذاته**، وبكل صوره المتعددة ، لذلك **ينادون بوحدة الوجود**، وما التغيرات في الوجود إلا تعديلات وترميمات إلهية لنفسه، **والإنسان هو أرقى صورة إلهية في الوجود**.

إن وحدة الوجود(الخالق والمخلوق واحد) حطام فكري ضال بُني على أطلال وحدة الوجود الصوفية البائدة كتلك الأباطيل التي دسها نيقولاي الكوزاوي في مؤلفه (الجهل المعرفي).

لذا؛ ينبغي الحذر من قراءة أفكار أصحاب هذه الفلسفات الضالة، وعدم الانخداع بعباراتهم المنمقة، مثل قولهم: أن الكون يحكمه نظام واحد من الذرة إلى المجرة، وبالتالي وحدة النظام الكوني، الذي يحتوي على تعدد ومتغيرات كثيرة، فظهر في الوجود علاقة الوحدة بالتعدد، والتعدد بالوحدة، **ليشكلا لوحة الكون العظيمة البديعة، التي هي في النهاية؛ ما يطلق عليه؛ الله العظيم البديع**.

فصدر الكلام؛ حسن وجميل، فالكون قائم على نظام الثابت والمتغير، والعلاقة جدلية بينهما، وينطبق على كلامهم هذا مقولة: كلمة حق أريد بها باطل.

وعندما عجز عقل هؤلاء، وأخفقت أدواتهم المعرفية بتجاوز أول أو أقدم عنصر موجود في الواقع ، وشاهدوا أن الفوتون هو شعاع وجسيم في وقت واحد حسب أدواتهم المعرفية، وأن الضوء جسم لطيف يتغلغل الوجود كله، وقد وُصف الإله بالنور، لأن النور رمز للمعرفة والعلم والخير، ولم يستطع عقلهم تصور إيجاد شيء بعد أن لم يكن شيئاً، ولم يستطع عقلهم تصور وجود الإله العظيم ولا شيء معه ، ومن ثم ابتدأ فعل الخلق، فزعموا أن الوجود الكوني أزلي في وجوده، وسرمدي في

بقائه، **أي الكون هو جسم الله، والسنن هي روح الله، وما الحياة الدنيا بالنسبة للإنسان إلا إحدى صور حركة الله في عملية ترميم جسمه منتقلاً من صورة إلى أخرى إلى ما لانهاية، لذلك يقولون: إن الإنسان صورة مصغرة عن الله.**

صديقي يحيى! لقد أدخلتك في مواضيع ليست محل النقاش، ولكنها أفكار لاطية وراء الأفكار المعروضة، وينبغي العلم بالمقصد والنهاية لهذه الأفكار المتعلقة بالله العظيم، إلى أين يريد أصحابها أن يأخذونا.

***فالأقانيم، والثالوث، واللاهوت، والناسوت، ووحدة الوجود، والاتحاد، والحلول، وغير ذلك، كلها أفكار باطلة؛ تسير بك إلى الهاوية.***

يحيى: لقد أثرت الشبهات والإشكالات الكامنة في نفسي منذ زمن بعيد، وسمعت منك أجوبة على أكثرها، وبصراحة هي مقنعة إلى حد بعيد، ولكن أريد أن أعطي نفسي فرصة للتفكير الحر، ومراجعة الذات، ونقاش المعنيين بالموضوع،والحوار معهم.

عبد الله: هذا حقك، وسوف أُنهي الحوار بقول الله ﷻ:

1- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ۞ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً} (النساء171-172)

2- {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ۞لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } (المائدة 72-75 )

## هل التقمص ضروري لتحقيق العدل

التقمص مفهوم فلسفي، يقول: بوجود عدة حيوات للإنسان الواحد في الدنيا، تظهر بأجسام مختلفة في أزمنة وأمكنة متعددة، وتكون بمثابة فرص متاحة ليقوم الإنسان بتطهير نفسه، وذلك لتحقيق العدل الإلهي.

وقد قمت بصياغة البحث بصورة حوار بين اثنين، وذلك لمشاركة القارئ، وتفاعله النفسي مع أسلوب الحوار، ولتسهيل فهم الأفكار والبراهين من خلال عرض الفكر، والفكر المضاد له.

إبراهيم: مرحباً إدريس؛ كيف حالك؟

إدريس: أهلاً بك؛ الحمد لله بخير؛ وأنت كيف حالك؟

إبراهيم: الحمد لله؛ نعيش بفضله وعنايته ورحمته.

إدريس: سوف أدخل في نقاش موضوع التقمص فوراً، وذلك لأنه يثير قلقي، ويشغل ذهني منذ فترة، ولم أستطع أن أصل إلى رأي أركن إليه.

إبراهيم: فلنبدأ الحوار، وقم بأداء دور الذي يتبنى مفهوم التقمص، ودافع عنه بأقصى ما عندك من أدلة وبراهين، وسوف أقوم بتحليلها وتركيبها، وربطها مع الواقع، وتفنيد أدلتها، وتفكيك تماسكها.

إدريس: حسناً! هذا الأسلوب يساعدني على عرض الفكرة بقوة، وأستطيع أن أرتب أفكاري وأدلتي، هيا قم بعرض أسئلتك؟

إبراهيم: ماذا تعني كلمة تقمص؟

إدريس: إن كلمة (تقمص) أتت من (قمص)، التي تدل على وقف، أو قطع شديد بجمع متصل منته بحركة محددة، وظهر ذلك بصور كثيرة في الواقع، مثل؛ الرداء الذي يلبسه الإنسان، واسمه قميص، وحرف (التاء)، في كلمة (تقمص)، هي تاء الجهد، التي تدل على دفع خفيف.

إبراهيم: نعم؛ ونستخدم ذلك للآبار، فنغرز أثناء حفرها اسطوانات حديدية لحماية البئر من انهيار جدرانه، ويسمونها قمصاناً، وذلك لأنها تنزل في البئر مثل القميص الذي يلبسه الإنسان.

إدريس: إن مثلك هذا، قد أوضح لي فكرة مهمة؛ وهي أن فعل التقمص أمر يتعلق بطبيعة الشيء فيمكن أن يكون التقمص خارجياً، مثل قميص الإنسان، أو داخلياً، مثل قميص البئر.

إبراهيم: إن هذه الفكرة توصلنا إلى سؤال هام جداً، ألا وهو، هل التقمص فعل للنفس، أو للجسم؟

إدريس: إن فعل التقمص يتعلق بالنفس؛ لا بالجسم.

إبراهيم: إذن؛ الجسم سوف يهلك، ويتحلل إلى عناصره الأولى التي خُلق منها، بينما النفس تخرج منه؛ لتدخل في جسم آخر في ذات اللحظة التي غادرت فيها الجسم الأول الفاني.

إدريس: نعم؛ إن النفس سرمدية؛ لا تفنى، ولا تهلك، وإنما تنتقل من جسم إلى آخر.

إبراهيم: إذاً؛ موت الإنسان يقصد به خروج نفسه من جسمه، حيث يرجع الجسد إلى عناصره الأولى في التربة، وتقوم النفس بالتقمص في جسم بشري آخر حديث عهد بالولادة، أليس كذلك؟

إدريس: نعم؛ هذا مفهوم التقمص.

إبراهيم: هل عملية التقمص مستمرة بصورة دائمة،أو لعدة مرات فقط، ومن ثم تخرج النفس من هذا العا لم الأرضي؟

إدريس: إن مفهوم التقمص متعدد الرؤى.

**أحدها؛** يقول: التقمص يستمر إلى ما لانهاية، وبالتالي لا وجود لمفهوم البعث واليوم الآخر عند القائلين به، ويعتقدون أن نفس الإنسان الصالح تتقمص جسماً بشرياً جديداً، وبينما تتقمص نفس الإنسان الشرير أجسام الحيوانات، وذلك عقاباً له إلى فترة زمنية ويسمون ذلك؛ مسخاً، ومن ثم تعود نفسه لتتقمص جسماً بشرياً، وهكذا تستمر الحياة الدنيا إلى ما لانهاية.

**أما الرؤية الثانية** للتقمص؛ فتنطلق من إثبات اليوم الآخر، والحساب، فيقولون بوجوب إعطاءِ عدة فرص للإنسان ليقوم بتطهير نفسه، وذلك من خلال منحه حق التقمص ثلاث مرات كحد أدنى في الحياة الدنيا، والتقمص عندهم لا يكون إلا في الأجسام البشرية، وضمن النوع ذاته دائماً، بمعنى أن الإنسان الذكر تتقمص نفسه جسماً ذكرياً، والأنثى تتقمص جسماً أنثوياً، حيث يحافظ الإنسان على إنسانيته، ونوعه في كل مراحل التقمص.

إبراهيم: وإلى أي الرأيين تميل؟

إدريس: قبل أن أجيب، أريد أن أسمع رأيك حول مفهوم التقمص بصورة عامة.

إبراهيم: حسناً؛ إن الرأي الأول الذي انطلق من نفي وجود اليوم الآخر، هو رأي باطل يخالف العلم، وذلك لأن الكون يسير في طريقه إلى الهلاك الحتمي،

وهذا برهان على وجود نهاية لهذا العالم بصورته الحالية، وبداية لعالم جديد بنظام آخر، وهذا ينقض مفهوم التقمص إلى ما لا نهاية في الحياة الدنيا.

إدريس: هل يمكن أن أعرف كيف أن فكرة نهاية، أو هلاك العالم ينقض مفهوم التقمص الدائم؟

إبراهيم: نعم؛ إن التقمص الدائم كما عرضته أنت، هو في الحقيقة تصور للحساب ثواباً و عقاباً، **الثواب** يكون من خلال تقمص الإنسان الصالح في جسم بشري آخر ليعيش حياة واعية سعيدة، **والعقاب** أن يتقمص الإنسان الشرير في جسم حيوان ليكابد حياة شقية معذبة، فإذا توقف استمرار وجود الكون و تعرض للفناء، اقتضى ذلك توقف التقمص عند حد معين، وتبطل منظومة الثواب و العقاب، وبحصول ذلك يسقط سبب مشروعية مفهوم التقمص، وتتداعى مفاهيم القيم، والأخلاق، والرادع، والضمير، فيقول قائل هؤلاء: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }الجاثية24 ، مثلهم مثل الدهريين المعروفين في التاريخ الذين يُنكرون البعث والحساب رغم تصديقهم بوجود الله الخالق المدبر.

أما الوجه الآخر لبطلان رأيهم، فهو أن النفس كائنة سرمدية غير مادة الجسم، فهي لا تفنى، وعندما يهلك الكون، ويتغير نظامه، تعود النفس التي اكتسبت مفاهيمها خلال مرحلة الحياة الأولى لتتنزل في أجسام جديدة تتناسب مع العالم

الجديد (اليوم الآخر)، **وحقيقة فناء الكون أو هلاكه، وسرمدية النفس، ينقضان بصورة قطعية مفهوم التقمص الدائم.**

إدريس: بصراحة؛ أنا أميل إلى مفهوم التقمص الثاني، الذي يعتقد بوجود اليوم الآخر، ولكن أحببت أن أسمع رأيك.

إبراهيم: وقد سمعت، فهل بقي في نفسك شك في بطلان التقمص الدائم؟

إدريس: لا؛ لقد ظهر لي بطلانه، وأنه ليس رأياً علمياً.

إبراهيم: حسناً؛ تفضل واعرض مفهوم التقمص المؤقت.

إدريس: يعتمد من يعتقد بهذا المفهوم على ثلاث مسائل في إثباته، وهي:

**1- صفة العدل الإلهي.**

**2- القصص التي تجري في الواقع، و لا يعرف كيف تحصل.**

**3- بعض آيات القرآن، وهذا خاص بالمسلمين الذين يؤمنون بالتقمص.**

إبراهيم: حسناً؛ لنناقش أدلتهم، ونبدأ بالدليل الأول؛ العدل الإلهي، فماذا قالوا بهذا الصدد؟

إدريس: لقد نظروا إلى واقع الناس، فشاهدوا الغني والفقير، والمريض والمعافى، والقوي والعاجز، وما شابه ذلك من تفاوت في فرص الحياة، فقالوا: لابد من تكافؤ الفرص، وينبغي أن يُمنح الإنسان أكثر من فرصة ليعبر عن نفسه، ويطهرها

من آثامها، وذلك من باب الفرصة الثالثة ثابتة، وهكذا يصير التقمص لازماً لتحقيق العدل الإلهي، وغير ذلك، نقض لصفة العدل، وظلم للإنسان.

إبراهيم: إذاً؛ الأمر بداية؛ ينتفي عنه وجود البرهان العلمي، أو العقلي، فالمفهوم بُني على رؤية نفسية محضة، وذلك عندما ظن أصحابه أن الفرصة الواحدة غير كافية ليعبر الإنسان عن نفسه، وبالتالي؛ لابد من إعطائه أكثر من فرصة، وبناء على هذه الرؤية الظنية قالوا: إن صفتي العدل والحكمة الإلهية تقتضيان مفهوم التقمص، ونفي التقمص ينقض كمال صفتي العدل والحكمة.

وجعلوا هذه العلاقة الجدلية برهاناً لإثبات مفهوم التقمص.

وهذا الأسلوب المنطقي هو مناورة، وتلاعب بترتيب الأفكار، ومحاولة بنائها على ذاتها، وتحليلها والاستنباط منها، لذا؛ لابد من إعادة عرض الأفكار، وتحليلها وتركيبها من جديد.

**أول مسألة** ينبغي أن نثبتها؛ هي أن الحياة الدنيا دار ابتلاء، وامتحان في عمارة الأرض، والخلافة فيها، فمن الطبيعي؛ بل اللازم أن يكون فيها القوي والضعيف، الصالح والطالح، العادل والظالم، لأن الحياة الدنيا قائمة على قانون ثنائي في العلاقات بين الأشياء، ولا يمكن أن ينتفي أحدهما، وافتراض نفي أحدهما، هو رأي وهمي، لأن كل واحد منهما يستمد وجوده من الآخر، وإذا انتفى أحدهما؛ انتفى الآخر ضرورة، وهذا يدل في واقع الحال على أن الإنسان في حالة امتحان،

وابتلاء دائمة، سواء أكان ذلك بالخير أم بالشر، بالصحة أم بالمرض،{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }الأنبياء35، وكل إنسان يأخذ جزاءه حسب مادة الابتلاء وصعوبتها، وذلك لتحقيق العدل الإلهي المطلق بين الناس، ويستحيل على الإنسان(الفعل) أن يدرك مقاصد الله(الفاعل) ﷻ في الواقع، وتظهر معرفة هذه الأمور للناس عبر الزمان مع توسع مداركهم المعرفية، وتطور أدواتهم العلمية، فالإيمان ضروري للإنسان، ونحن نتعامل مع عالم لا مرئي، وهذا يعني أن دائرة الغيب أكبر بكثير من دائرة الشهادة، والإيمان بالغيب مسألة علمية؛ لا مجرد تصورات شخصية، لأن المفاهيم الغيبية مُؤَسَّسة على عالم الشهادة، حيث أن عالم الغيب أصل لعالم الشهادة، وعالم الشهادة دليل على عالم الغيب، وهكذا نتعامل مع العلوم.

**المسألة الثانية**: افترض المؤمنون بالتقمص أن الحياة الدنيا بمرحلة واحدة غير كافية ليعبر الإنسان عن نفسه، أو يطهرها من الآثام، وبالتالي ألزموا الخالق لتحقيق عدله وحكمته أن يمنح الإنسان أكثر من فرصة في الحياة، وقاموا بعكس الاستدلال، فقالوا: إن صفتي العدل والحكمة تقتضيان مفهوم التقمص!، وهذا الاستدلال باطل في واقع الحال من عدة وجوه:

أ- كيف لا تكون الفرصة الواحدة التي تأخذ حقَّها من الوقت؛ غير كافية للتعبير عن مستوى الإنسان؟

ب- إن إعطاء فرصة ثانية أو أكثر هي مسألة متعلقة بإرادة الخالق، ولا يمكن أن نعرفها إلا إذا أخبرنا بها بصورة قطعية، لا ظنية.

ت- ما هو البرهان العلمي على أن التقمص ثلاث مرات كاف لتحقيق العدل الإلهي، ولظهور مستوى الإنسان بصورة قطعية؟ ولماذا لا تستمر عملية التقمص حتى يصل الإنسان إلى صورة يثبت فيها أنه صار صالحاً؟ وبالتالي يموت الموتة الأخيرة، كما يقول بعض الفلاسفة، وذلك لتحقيق صفة الرحمة الإلهية بجانب صفة العدل؟

ولا يخفى على العقل الحصيف أن الرأي الأخير (استمرار التقمص حتى الوصول إلى طهارة النفس) ينقض أساس مفهوم الابتلاء والامتحان، ويبطل الثواب والعقاب، فهو رأي باطل يناقض الواقع الثنائي الجدلي، أما مسألة تحديد التقمص بثلاث مرات فقط،فهذا أمر أصدرته رغبة الإنسان، ولم يصدره الخالق نفسه، وليس مشاهداً على أرض الواقع.

ث- إن مفهوم التقمص ينقض صفة الحكمة الإلهية؛ فإذا كان الإله يريد النجاة للجميع، يصير مفهوم الابتلاء عبثاً لا فائدة منه، كما أن وجود المعاناة والشقاء دون مفهوم الابتلاء ينقض صفة الرحمة الإلهية أيضاً!، ونفي الإرادة لا يعني نفي المشيئة.

ج- إن مفهوم الامتحان والابتلاء يقتضي إعطاء الإنسان العلم به، والوقت الكافي والقدرة على القيام به، وهذه الأمور توفرها مرحلة حياة الإنسان في الدنيا، منذ بلوغه بداية سن الرشد إلى موته، ولا يصح قياس ذلك على الفرص التي تُعطى للرياضي مثلاً في أداء لعبته، فهذا قياس باطل، ألا ترى أن الرياضة ذات الوقت الطويل(كرة القدم)، التي تتضمن احتمالات كثيرة لتحسين أداء الإنسان ورفع مستواه، لا تعطي الرياضي فرصة أخرى أبداً، ويتم الحكم بناء على نتائج الفرصة الوحيدة.

وهكذا حياة الإنسان في الدنيا، فهي مرحلة كافية لظهور مستوى الإنسان،وتزكية نفسه أو تدسيتها، وبالتالي تصير الفرصة الثانية تكراراً للأولى مهما تعددت، أو اختلف مستوى الإنسان، فإن ذلك يحصل ضمن دائرة التزكية، أو دائرة التدسية، ولا يمكن أن ينتقل من دائرة إلى أخرى.

ح- يوجد تساؤلات مهمة وهي:

- إذا كان التقمص مفهوماً علمياً لماذا لا يحصل التقمص عند سائر الناس؟

- عندما يموت أحد الذين يؤمنون بالتقمص لماذا لا تظهر نفسه إلا بالطائفة ذاتها من الناس؟

- كيف تظهر النفس المتقمصة معتقدة بالمفهوم ذاته ابتداء؟

- هل مجرد الاعتقاد بالشيء يجعله علمياً؟

إدريس: ولكنهم يقولون: عندما يحدث التقمص في جسم جديد تفرغ النفس من كل ما اكتسبته من مفاهيم ( فرمتة )، وترجع إلى فطرتها مستعدة لتشكيل صورة حسب البيئة والظروف الجديدة التي ظهر فيها الإنسان.

إبراهيم: إن هذا الافتراض ينقض مفهوم التقمص، ولا يثبته!.

إدريس: كيف ذلك؟

إبراهيم: لنفترض أن زيداً يعيش في فرصته الأولى، وقد قام بتشكيل شخصيته من حيث المفاهيم والسلوك، وصار يُعرف بهذه الشخصية التي صارت هويته الدالة عليه، لأن ما يميز الإنسان عن الآخر هو الشخصية، لا الجسم، ومات زيد من خلال مفارقة نفسه لجسمه، والجسم كما هو مشاهد يرجع إلى أصله من عناصر كالتراب والماء، أما النفس فهي كائنة سرمدية، فإن قلنا إن النفس يتم تفريغها بالموت من المفاهيم، وإرجاعها إلى فطرتها نكون قد محونا شخصية زيد، ومثل ذلك كمثل تشكيل آلة من عدة مواد، فصارت آلة لها وظيفة واسم يميزها عن غيرها، فإن قمنا بعملية تفكيك الآلة، وإرجاع كل مادة إلى أصلها، نكون قد جردنا الآلة من وجودها الوظيفي، وأرجعناها إلى أصلها كمادة خام، فإن قمنا بصنع آلة جديدة مختلفة الوظيفة من ذات المواد، لا نحصل على الآلة القديمة أبداً، ومثل ذلك كمثل نظام ويندوز، فالأصل في نسخه الكثيرة، التطابق في المضمون من حيث المحور الثابت، وعندما يصل إلى المستخدم يقوم باختيار أوامر وبيانات

جديدة خاصة به في المحور المتغير، حسب حاجته، وبذلك أعطى لنظام ويندوز هوية متعلقة بالمعلومات الجديدة، فإذا قام بتفريغه (فرمته) يكون قد أزال هوية النظام وخصوصيته، وأرجعه إلى ما كان عليه أصلاً، نسخة مثل غيره تماماً، ينتظر من يشكله بشخصية جديدة.

وهكذا نفس الإنسان قبل دخولها في جسمه، وتشكيلها على أرض الواقع الاجتماعي والبيئي، فافتراض مسألة تفريغ نفس الإنسان، ودخولها مرة ثانية في جسم جديد، يترتب عليه ذهاب (فرمته) نفس زيد إلى الأبد، وظهور نفس أخرى لا علاقة لها بزيد أبداً، وهذا يعني أن كل حالة تقمص للنفس في حال حصولها تقوم على أنقاض الشخصية السابقة، ولا يستطيع المؤمنون بالتقمص نفي تفريغ النفس من مفاهيمها، وما اكتسبته من رواسب أثناء حياتها، لأن ذلك ينفي الحكمة من التقمص أصلاً، حيث يُعيد الإنسان نفسه، وإذا أصروا على التقمص مع إثبات تفريغ النفس، يلزم من قولهم وجود حياة مستقلة لكل مرحلة على حدة، تكون بالنسبة إلى صاحبها الفرصة الوحيدة، وفي النهاية سوف تفنى كل هذه الفرص بشخصياتها، وبالتالي يكون الوجود الفعلي مقتصراً على آخر شخصية تشكلت، وحصول ذلك يعني أن صاحب الشخصية الأخيرة عاش مرة واحدة فقط لا غير، والشخصيات السابقة فنيت ولم يعد لها وجود، فتأمل يا صاحبي!.

إدريس: يخطر في ذهني سؤال حول اختلاف عدد الولادات عن عدد الوفيات في المجتمع الإنساني، إذ لو كان مفهوم التقمص في الواقع صواباً لتساوت الولادات مع الوفيات، وبالتالي ثبت عدد سكان الأرض لا يزيد ولا ينقص.

إبراهيم: هذه حالة من حالات التقمص، فهم يقولون بالتقمص ثلاث مرات فقط وبالتالي لابد من الموت الذي لا رجعة فيه للنفس، وعندئذ ينقص عدد سكان الأرض ضرورة، ويفسرون الزيادة بسبب خلق نفوس جديدة، بجانب التقمص للنفوس القديمة.

وهذا الافتراض باطل في واقع الحال، ولنأخذ على سبيل المثال مجتمعاً توفي فيه ألف إنسان، وولد فيه عشرة آلاف، فالألف الذين ماتوا سوف يظهرون في شكل ولادات جديدة في مكان آخر، وعشرة الآلاف الذين وُلدوا ينبغي أن يكون جزء منهم – النصف مثلاً – وفيات في مكان آخر، ظهرت في هذا المجتمع من جديد.

ولنقم بعملية التعويض، حيث أن الألف الذين ماتوا، هم الذين وُلدوا في مكان آخر، فتصير النتيجة صفراً،لا زيادة ولا نقصان، وإذا افترضنا أن نصف حالات الولادة هم ناس قد ماتوا في مكان آخر، نصل إلى أن النفوس الجديدة هي خمسة آلاف فقط، وبهذا المثال نصل إلى احتمالين:

الأول: ينبغي أن تكون نسبة زيادة سكان الأرض منخفضة جداً، والواقع غير ذلك.

الثاني: ينبغي أن يكون عدد سكان الأرض أضعافاً مضاعفة عن العدد الحالي، وذلك لوجود التقمص، وخلق النفوس الجديدة.

و مفهوم التقمص يقتضي صواب الاحتمال الثاني، ولتقريب المثل، انظر إلى مجتمع ما، وقم بوضع حالات أفراده في جدول يغطي كل حالات التقمص بفرصه الثلاث، والخلق الجديد للنفوس:

1- مجموعة تعيش في الفرصة الأولى.

2- مجموعة تعيش في الفرصة الثانية.

3- مجموعة تعيش في الفرصة الثالثة.

4- مجموعة ينتقلون من فرصة إلى أخرى ( ولادات تقمصية ).

5- مجموعة خُلقت حديثاً ( ولادات خَلقية ).

6- مجموعة أنهت فرصتها الثالثة والأخيرة ( الموت دون رجعة )

فنصل إلى أن نسبة تكاثر سكان الأرض ينبغي أن تكون هائلة مثل النمل، والواقع يشهد بخلاف ذلك!.

إدريس: إن مفهوم التقمص عقيدة يحملها عدد كبير من سكان الأرض، بينهم فلاسفة كبار، كيف تفسر ذلك؟

إبراهيم: إن الفكرة تستمد صوابها من برهانها، وليس من صاحبها، أو من كثرة القائلين بها، أو مكانتهم الفلسفية، أو العلمية.

إدريس: هل أفهم من كلامك أنهم على ضلال؟

إبراهيم: نعم؛ إنهم على ضلال، وهذا لا يعني الإجرام، أو العداوة، أو الكره والحقد، ومثلهم كمثل العلماء السابقين الذين كانوا يعتقدون بأن الأرض مسطحة، وإنما يعني أنهم وقعوا في الوهم بسبب طريقة تفكيرهم التي تفتقد صفة العلمية والواقعية، ولا تنس أنهم يؤمنون باليوم الآخر الذي هو أحد محاور الإيمان، وفي نهاية المطاف أنا أعتقد أن إثبات مفهوم التقمص المؤقت، أو نفيه، سواء من حيث النتيجة عند من يؤمن به، لأن كل إنسان يمكن أن يكون يمثل الحالة الأخيرة للتقمص، وبالتالي فهو مسؤول عن شخصيته من حيث المفاهيم والسلوك.

إدريس: ما تفسير سبب هذه الظواهر والقصص التي يتداولونها لإثبات التقمص؟

إبراهيم: عظيم، لقد ذكرت كلمة (تفسير) في سؤالك، وهي تدل على وجود انفعال، وتفاعل الإنسان مع الحدث، ومن هذا الوجه ينبغي أن تفرق بين حصول الحدث، وتفسيره، **فالتفسير عملية تتم في الذهن بناء على معطيات معينة، قد تكون داخلية من النفس، وقد تكون خارجية من الواقع**، فإن كانت معطيات نفسية داخلية، فهي إسقاط ما في النفس على الحدث، وإن كانت خارجية مبنية

على دراسة، وتحليل وتركيب، واستنتاج من الواقع، فهي تفسير علمي مرتبط بالواقع.

والسؤال الذي يفرض ذاته هو: **مفهوم التقمص أهو تفسير علمي للأحداث، أم تفسير نفسي داخلي للأحداث عند من يعتقد به؟**

بمعنى آخر، إن من قال بالتقمص بناء على هذه القصص انطلق من نفي معرفة سبب حصول هذه الأحداث، فقال: إذاً؛ لابد من إثبات مفهوم التقمص، معتمداً على نفي العلم لإثبات المفهوم، وهذه طريقة ضالة في تفسير الأحداث، **لأن نفي العلم عن كيفية حصول حدث، لا يصلح أن يكون برهاناً لإثبات شيء،** فالعلم يكمن في دراسة واكتشاف سبب النتيجة، والقانون الذي يحكم الشيء، فإن لم تستطع الوصول إلى معرفة أسباب حصول الشيء، فمن الغضاضة أن تهرب من الدراسة والعلم إلى تفاسير وهمية، وتطالب الآخرين بنقضها،وإثبات بطلانها**!**، فيصير مثلك مثل من سأل: من قام ببناء هذا السد على النهر؟ فرد عليه آخر قائلاً: أنا الذي بنيته، فأجابه السائل: ما برهانك على ذلك؟ فرد عليه: أنت بنيت السد؟ فقال السائل: لا؛ لم أبن السد، فأجابه: إذاً؛ أنا الذي بنيته**!**.

وأحداث وقصص التقمص من هذا القبيل، فعندما لم يعلم القائلون به سبب حصولها في الواقع، قالوا: **عدم علمنا بالسبب؛ برهان على مفهوم التقمص، وإذا لم تصدق ذلك، فأخبرنا عن سبب حصول هذه الأحداث!؟**

إدريس: فعلاً إنها مناورة كلامية، ومغالطة في التحليل والتركيب والاستنتاج!.

إبراهيم: **إن معظم الضلال في الأرض أفرزته طريقة تفكير وهمية، ومقلوبة النتائج، مثل مقولة: النفي برهان على الإثبات، والصواب هو نفي النفي إثبات، ونفي العلم عن شيء لا يصلح برهاناً على إثبات شيء آخر.**

إدريس: لقد وصلت بفضل من الله، ثم بفضلك إلى ترتيب طريقة التفكير والتحليل، وعرفت أن مفهوم التقمص؛ وَهم في وَهم، ولكن أريد أن نتدارس بعض النصوص القرآنية التي يستشهد بها من يقول بالتقمص.

إبراهيم: إليّ بأهم النصوص، وأصرحها في الدلالة على مفهوم التقمص.

إدريس: بعد أن قرأت النصوص التي يعتمدونها كبراهين، وجدت نصين هما العمدة في بناء مفهوم التقمص عندهم، وهما:

1 - {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }البقرة28

2 - {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} غافر11

إبراهيم: **إن فهم النص القرآني لا يمكن أن يحصل من دلالة مفرداته فقط، أو عزله عن المنظومة القرآنية ودراسته وحده، بل لابد من فهم المفردات لساناً، وفهم النص وفق المنظومة الخاصة به، وإسقاط ذلك على**

**الواقع، لأنه محل الخطاب، والنص المعني بالدراسة ينتمي إلى منظومة الموت والحياة.**

**الموت: يدل على فقدان الفاعلية وانتهاء إنتاج الطاقة ذاتياً**، ويشمل الموت المادي، والموت الروحي، اقرأ قوله تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (الأنعام122).

**الحياة: تدل على الفاعلية وإنتاج الطاقة بصورة ذاتية**،وتشمل الحياة المادية، والحياة الروحية.

وبناء على هذا التعريف صُنّفت **الكائنات الحية**، نحو، الإنسان، والحيوان، والنبات، **والكائنات الميتة** نحو، التراب، والأخشاب، والأحجار.

والنص القرآني الأول يثبت أن حالة الموت هي الأولى والسابقة عن الحياة، اقرأ قوله تعالى: {وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } (يس 33). فالأرض بعناصرها هي مادة ميتة، وفعل الحياة انبثق من نزول الماء عليها فاهتزت وربت، وأنتجت الزرع، وصارت فاعلة، ونضحت من رحمها الحياة الفاعلة المتمثلة بالنبات، وهذه صورة للحياة المادية.

**والإنسان** (بشر) **في أصله من تراب وماء، وهما كائنان ميتان، هذه صورة للموت**، والأخرى هي وجود البشر دون وعي وإدراك، وهذا تفسير كلمة (وكنتم

أمواتاً) وعملية الإحياء تمت بصورتيها مع فاصل زمني بينهما، وهذا تفسير كلمة (فأحياكم)، انظر إلى حرف ( ف) الذي يدل على العطف والتعاقب، وعملية جعل تكاثر الجنس الإنساني من ماء مهين فيما بعد؛ لا تنفي أصل مادته الميتة التي خُلق منها، انظر إلى أصل تكوين النطفة في الجسم كيف تحصل من كائنات ميتة بداية، ويتابع النص (ثم يميتكم) انظر إلى حرف (ثم) الذي يدل على عطف مع التراخي في الزمن، وهذا دليل على أن مرحلة الموت هذه تأتي بعد فترة زمنية يعيشها الإنسان في دار الابتلاء، وهذه دلالة المضارع ( يميتكم ) ويتابع النص ( ثم يحييكم ) أيضاً أتى حرف العطف (ثم) ليدل على أن مرحلة الموت السابقة سوف يمر عليها زمن ( يحييكم )، ويتابع النص (ثم إليه ترجعون) ليدل على أن الرجوع إلى الله ﷻ سوف يكون بعد فترة زمنية من الإحياء.

خلاصة تفسير النص:

**1- كنتم أمواتاً ----- التراب والماء، الوجود ككائنات غير عاقلة.**

**2- فأحياكم ---- بدء الحياة للأجسام، والنفخ فيها من الروح (الوعي).**

**3- ثم يميتكم ---- انتهاء حياة الإنسان في الدنيا بعد فترة من الحياة.**

**4- ثم يحييكم ---- عملية البعث والحياة في الآخرة بعد فترة من الموت**

**5- ثم إليه ترجعون ---- بدء عملية الحساب بعد فترة من الإحياء.**

اقرأ قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ} (الحج 66)، بدأ الله بفعل الحياة أولاً، وهذا يقتضي ضمناً أننا كنا أمواتاً، ثم عطف الموت على هذه الحياة بحرف (ثم)، وعطف الحياة على الموت بحرف (ثم)، ليحدد النص ثلاث مراحل:

**1- أحياكم ------- من بعد أن كنا مادة ميتة ( تراب وماء ).**

**2- ثم يميتكم ----- من بعد حياتنا في الدنيا.**

**3- ثم يحييكم ---- من بعد الموت في الدنيا، عبر البعث والحياة الآخرة.**

اقرأ قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (الأنعام 95 ).

1-يخرج الحي من الميت ------- الحب والزرع من الأرض الميتة.

2-ومخرج الميت من الحي ---- مثل الصوف والوبر والحليب والأخشاب.

إدريس: بناء على هذا التفسير لا يوجد أي دلالة لمفهوم التقمص في النص لا من قريب، ولا من بعيد.

إبراهيم: نعم؛ إنه كذلك، فمفهوم التقمص قد تم إسقاطه على النص إسقاطاً تعسفياً خالياً من المنطق والدراسة الموضوعية، انظر مثلاً لو جاريناهم في مفهومهم كيف يمكن أن نفهم النص، أول جملة ( وكنتم أمواتاً ) أقول: لابد لموت الشيء من أن يكون حياً أولاً، وبالتالي مرحلة الموت الأولى تسبقها مرحلة حياة ضمناً قد

سكت النص عنها، وإذا كان الأمر كذلك، أقول: إن مرحلة الحياة أيضاً لابد أن تسبقها مرحلة الموت، وهكذا دواليك بصورة تسلسلية، ومن المعلوم أن فرضية التسلسل للخلق باطلة، ما يدل على أن جملة (وكنتم أمواتاً) غير معنية بالصورة الإنسانية الحالية، وإنما معنية بأصل خلق الإنسان، الذي هو تراب وماء ضرورة، وأتت جملة (فأحياكم) لتدل على بدء نشوء الحياة بأبسط صورها، إلى أن وصلت إلى الصورة التي ارتضاها الخالق للإنسان.

إدريس: لا أريد أن أتعمق أكثر في الموضوع، فالذي يهمني هو بطلان مفهوم التقمص، لذا؛ تابع تفسير النص القرآني الثاني؟

إبراهيم: إن الأفكار مترابطة مع بعضها، وتشد بعضها، ويصعب أحياناً أن نقف عند جزء منها، ومع ذلك سأتابع تفسير النص الآخر.

2- {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} غافر 11

لاحظ استخدام النص لكلمة (**اثنتين**)، وهي غير كلمة ( **مرتين** )، فعلى ماذا تدل كل منهما؟

**مرتان: كلمة تدل على تكرار الحدث، مع وجود فاصل زمني بينهما.**

اقرأ قوله تعالى: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... } (البقرة 229)

وقوله{وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً } ( الأحزاب 31)

وقوله: {أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ } (التوبة 126)

**اثنتان: كلمة تدل على تكرار الأمر أو الحدث، بصورة متصلة.**

اقرأ قوله تعالى: {... فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ... } (النساء 11)

وقوله{وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ } النحل51

ولتقريب الفكرة نضرب مثلاً فنقول: جئت لعندك مرتين وفي كل مرة طرقت الباب اثنتين.

إذاً، النص – ابتداءً – لا يتكلم عن مراحل الموت أو الحياة بصورة منفصلة، بل يتكلم عن مرحلة موتٍ أو حياة بصورتين ملتصقتين، فما هما هاتان الصورتان؟

بداية، ينبغي أن نستحضر المفهوم الثابت لدينا، المتعلق بالموت والحياة بصورتيه المادية والروحية، الذي هو دلالة النص{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (البقرة 28 )

1-( وكنتم أمواتاً) أي مواداً ميتة، التي هي التراب والماء، اقرأ قوله تعالى: {وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } ( يس 33).

2- (فأحياكم) بدء عملية خلق البشر،ثم نفخ النفس فيهم من الروح، لتتحقق حياة الجسم، وحياة النفس من خلال الوعي، والإدراك، والالتزام بالروح الكونية، والشرعية، وهاتان هما صورتا الحياة ( المادية والروحية ).

3- (ثم يميتكم) موت الإنسان بخروج نفسه من جسمه، ويترتب على ذلك توقف فاعلية نفسه.

إذاً؛ لا يمكن للإنسان أن يموت اثنتين بصورة الموت الجسمي،ما يؤكد - ضرورةً - أن دلالة (أمتنا اثنتين) متعلقة بالجسم؛ وبشيء آخر غيره، في وقت واحد، ولدى الدراسة، نجد أن صورة الموت الثانية، هي موت روح الإنسان، وكلمة الروح تدل على أمر الرب، وفي الواقع، هي مجموعة السنن والقوانين التي تحكم الوجود كله (الروح الكونية )؛ وتدل على أمر الرب الشرعي؛ الذي تمثل برسالته للناس، اقرأ قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ... } (الشّورى 52.)، لتصيرا منسجمتين مع بعضهما - الروح الكونية، والروح الشرعية -، ويجب على الإنسان أن يلتزم بهما معاً، ويتحرك في الكون وفق روحه ( سنن وقوانين)، ويتحرك - اجتماعياً - وفق روح المجتمع، المنضبط بروح الشرع الإلهي، فيصير هذا الإنسان حياً في جسمه، وحياً في روحه، أمّا الذي يكفر ويُفسد في الكون، ويكفر بشرع الله؛ فهو حي في جسمه فقط، وميت في روحه، التي يعقبها موت جسمه نهاية بصورة متصلة، وهذه هي دلالة ( أمتنا اثنتين ).

أما دلالة ( أحييتنا اثنتين )، فالحياة الأولى للجسم، وتكون من خلال البعث والحياة في الآخرة، والثانية الملتصقة بها، هي حياة الروح عند الكفار، عندما

يدركون الحقيقة بأم أعينهم، ويتطهرون من شركهم وأوهامهم بواسطة النار، لذلك قالوا:

{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} غافر11

أمّا المؤمنون فلا يذوقون إلاّ الموتة الأولى؛ التي هي الموت الجسمي بعد حياتهم في الدنيا،{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (الدخان 56)، فالمؤمنون يَحيون في الدنيا اثنتين؛ حياة الجسم، وحياة الروح ( فاعلية وإيمان وانسجام مع الكون)، ويموتون موتة واحدة (موت الجسم)، ويحيون بعدها في الآخرة اثنتين؛ حياة الجسم، وحياة الروح ( فكراً وتأملاً وسعادة وسروراً )، اقرأ قوله تعالى: {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى } ( طه 74)

فالكافر لا يموت في النار من الناحية الجسمية، فهو حي،وليس حياً من الناحية النفسية، فهو الميت الحي، وما أكثرهم في الحياة الدنيا.

فيكون المؤمنون قد عاشوا حياتين فاعلتين سعيدتين، في الدّنيا، من خلال الالتزام بالرّوح التي أنزلها الله (القرآن)، والروح الكونية، وفي الآخرة، من خلال فوزهم بالجنة، ورضوان الله عليهم.

قال تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (الأنعام 122).

وقال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا } (الشّورى 52.)

وقال: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (النّحل 97.)

إدريس: كفى؛ لقد امتلأت فكراً، ولم يعد عندي متسع لغير ذلك، سوف أفكر وأدرس ما عرضت علي من أفكار، وأدلة، بصورة موضوعية، على ظني أني قد وصلت إلى أن النصين القرآنيين؛ لا يدلان على مفهوم التقمص، والاستدلال بهما لا يخرج عن إطار الظن والتصور، وبالتالي لا يصلحان برهاناً على التقمص أبداً.

إبراهيم: هذا من دواعي سروري، والفضل أولاً، وآخراً لله ﷻ على توفيقه.

## الثابت والمتغير و العلاقة الجدلية بينهما

مفهوم الثابت والمتغير من المفاهيم المرتبطة بالواقع ارتباط اللازم بالملزوم، وكون الأمر كذلك، فدراسته تصير دراسة موضوعية للواقع المشاهد . آفاق وأنفس . والواقع كما هو عليه في الحال قائم على الحركة، لا يقف أبداً {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }يس (40)،وهذه الحركة لا يمكن أن تكون في واقع الحال إلا إذا كان لها جانب ثابت يكون أساساً للحركة، لأن غياب الجانب الثابت عن المتغير يُلغي وظيفة الجانب المتغير ودوره،ويصير وجوده عبثاً، وليس له دور يقوم به، نحو افتراض انتفاء حركة الأرض

حول نفسها وحول الشمس وسيرها اللامتناهي في اللا اتجاه غير خاضعة لأي نظام، وإذا حصل ذلك فيعني انتفاء الليل والنهار، وفصول السنة، وتوقف الوقت،لأن كل لحظة لحركة الأرض اللا نظامية هي وقت بحد ذاته قائم بنفسه، لا علاقة له بما قبله أو بعده، ولو افترضنا وجود حياة عاقلة على هذه الأرض اللا نظامية في حركتها،لكانت هذه الحياة أفقية في الوجود، لا علاقة للمجتمعات ببعضها؛ بل بالجيل نفسه تنتفي العلاقة، بل الإنسان الفرد يبقى طوال حياته جاهلاً لا يعلم شيئاً، لأن كل ما حوله في تغير مستمر دون تواصل، إذاً؛ غياب الجانب الثابت في الواقع مع وجود المتغير فقط، يؤدي إلى غياب العلم والتواصل، ويؤدي إلى الفوضى، ليحل في هذا الوجود الهلاك أخيراً، والتلاشي إلى لاشيء، وغياب الجانب المتغير عن الواقع مع وجود الجانب الثابت فقط، يؤدي إلى الجمود، وجعل الحياة صورة طبق الأصل عن بعضها بعضاً، وإذا حصل هذا في الواقع انتفى عن الواقع صفة النمو والتطور، ليحل محله الهلاك والتلاشي إلى لا شيء.

إذاً؛ الجانب الثابت لابد منه لتحقيق العلم والتواصل،والجانب المتغير لتحقيق التطور والنمو، والعلاقة بين الثابت، والمتغير، علاقة جدلية، يؤثر كل واحد منهما بالآخر بالنسبة لوجوده، فنظام سير المجموعة الشمسية ثابت على متغيرات تنتج منه،وذلك متحقق بظهور الليل والنهار،وتعدد الفصول بشكل مستمر، ولو انتفت

هذه الظواهر المتغيرة عن الظهور، لانتفت صفة الثبات نفسها من حيث هي نظام دائم .لذا،صفة النظام الثابت تُدرَكُ من خلال الظواهر المتغيرة بشكل دوري، **فالثابت ينتج عنه المتغير، والمتغير يدل على الثابت.**

{ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً } فاطر (43) ومن هذا الوجه، ظهر لنا علاقة الخالق المدبر بخلقه، فالله أحد صمد، وذلك لم يُدرك من قبل الناس إلا بوجود الجانب المتغير الذي هو فعل الله ﷻ – الآفاق والأنفس – فالثابت أصل ومرجع للمتغير،ولولا وجود الثابت – الباطن – لما وُجد المتغير – الظاهر – والمتغير دليل على الثابت، ولولا المتغير لما ظهر الثابت لنا، هذه هي العلاقة الجدلية بين الثابت (الباطن)، و المتغير (الظاهر)، فعلاقة الثابت مع المتغير علاقة وجود،فلولاه لما وُجدت الحركة والتطور، والمتغير علاقته مع الثابت علاقة ظهور فلولاه لما ظهر لنا الجانب الثابت، فأي حركة وتطور إنما هي ظاهر لثابت باطن.

## علاقة النص الرسالي مع الواقع المتغير

الرسالة الإلهية كونها موجهة إلى المجتمعات الإنسانية قاطبة عبر الزمان والمكان، وهي رسالة متممة لما قبلها ومكتملة في ذاتها، كان من الطبيعي أن تتصف بصفات المجتمع الإنساني نفسه، من حيث الثبات والتغير، وتحقق ذلك باختلاف بنية التشريع الاجتماعي للرسالة عن التشريعات السابقة. إذ كانت الرسالات السابقة عينية في تشريعها، وزمكانية في توجهها، أما الرسالة الكاملة فلقد نزلت ابتداء إنسانية عالمية متجاوزة في خطابها الزمان والمكان لتستوعب كل الأمكنة مع اختلاف المجتمعات وتطورها، وهذا يقتضي أن تكون صفة التشريع صفة حدودية[1]، وليست عينية، ودلالات النص اللساني علمية وليست ثقافية، أي يأتي التشريع الكامل ثابتاً كحدود تشريعية غير مرتبط بالزمان والمكان، وغير موجه إلى مجتمع معين، وليس للتطبيق بعينه، وإنما هو خطوط حمراء غير مسموح تجاوزها

[1] النظرية الحدودية في التشريع هي الاعتماد على تشريع أحكام اجتماعية بالحد الأدنى لا يسمح بتجاوزها نزولاً، مع الحض على تجاوزها صعوداً حسب التطور والارتقاء والمستجدات، وتشريع أحكام عقوبات بالحد الأعلى غير مسموح بتجاوزها صعوداً مع السماح والحض على تجاوزها نزولاً حسب الوعي والتطور المعرفي للإنسانية. وشرع الله نزل ببنية حدودية إنسانية ليسمح للإنسان بالتطور والارتقاء وتغطية المستجدات، ومواكبة الواقع المتغير. وهذا رد على تساؤل الدكتور طيب تيزيني في كتابه( النص القرآني) كيف يمكن للنص الثابت متناً أن يواكب الواقع المتغير والمتنامي!؟. فالتشريع الحدودي هو الذي يسمح للإنسان بممارسة دوره كخليفة في الأرض.

مع السماح باختيار الحل المناسب للظرف الراهن وفق هذه الحدود. أما النصوص الأخرى غير التشريعية فتتصف **بثبات المبنى والمفهوم اللساني وحركة المحتوى حسب المستوى العلمي وتطور الأدوات المعرفية.**

فالنص الإلهي مرتبط بالواقع كون الواقع محلاً للنص وسابقاً عنه في الوجود، وبما أن الواقع . آفاق وأنفس . وصل إلى مرحلة الاستقرار على نظام واحد قائم على الثابت والمتغير،وانتفت عنه عملية النسخ، اقتضى نزول نص جديد يكون مستوعباً ومكملاً لما سبق متصفاً بصفات الواقع نفسه من حيث الثبات والتغير والاستمرار معه بخط واحد، ويكون دور الإنسان مع النص الثابت مثل دوره مع الواقع الثابت تماماً، فالإنسان الذي يكتفي بعرض جسمه تحت أشعة الشمس ليحصل على الدفء،هو إنسان اكتفى بالحد الأدنى للتعامل مع الواقع الثابت، أما الإنسان الذي يقوم بدور الخلافة في الأرض ويقوم بتفعيل طاقاته المعرفية من خلال السير في الأرض تفكيراً ودراسة فإنه يقوم بعملية إنتاج متغير جديد من الواقع الثابت، نحو جعل أشعة الشمس طاقة حرارية وهذه العملية الجعلية المتغيرة كانت ضمن الثابت واستخدامه، ولذلك قلنا إن الثابت ينتج عنه المتغير، والمتغير يدل على الثابت، وهذه العملية الجعلية المتغيرة هي نفسها نتعامل بها مع النص الإلهي الثابت، فمن يقف على ظاهر النص يكون قد أخذ بالحد الأدنى للتفاعل وبأبسط صوره،ويحصل على مجتمع بسيط بدائي غير متطور، أما الذي يقوم بالتعامل مع النص الشرعي من منطلق النظرية الحدودية فإنه يحركه من ثباته

الظاهر ويجعله ينتج عنه المتغير الذي يناسب المتغير من الواقع، ومن هذا الوجه فالنص الرسالي الثابت مثله مثل الواقع الثابت تماماً من حيث كمونهما على متغيرات لا متناهية، ومتروك للإنسان الخليفة أن يتفاعل مع هذه المتغيرات ويكتشفها ويسخرها لمصلحته، وكل ذلك ضمن الثوابت في الواقع والنص الإلهي،ومثل ذلك كمثل اللعب ضمن حدود ملعب كرة القدم، فالمطلوب هو اللعب داخل الحدود والتقيد بنظام اللعبة، وليس الوقوف على حدوده**!**.

إذاً؛ ليست العبرة بمسألة قدم الشرع، أو حداثته من حيث الوجود، وإنما العبرة بصلاحية هذا الشرع وملاءمته للطبيعة الإنسانية، والاجتماعية، فمن يستطيع أن يضع تشريعاً حدودياً أحسن مما أنزل الله، فإنه يفرض تشريعه على الواقع من جراء الأحسنية وتحقيق المنفعة للناس جميعاً، وكذلك ليست العبرة بالتقيد بالشرع الإلهي، الناحية الإيمانية وحسب، وإنما المعتمد الذي يفرض نفسه على الناس، آمنوا أم لم يؤمنوا، إنما هو موافقة هذا الشرع لسنن الفرد والأسرة والمجتمع أثناء حركتهم وتفاعلهم مع بعضهم، ومع الآفاق، لتحقيق الأمن والسلام البيئي والاجتماعي، وتطبيق العدل والإحسان بين الناس جميعاً، لينعم الناس بأكبر حظ من السعادة وتحقيق الذات، وبناء على ذلك نجد المجتمعات المعاصرة الجاهلية من حيث الفكر والقيم بعد الدراسة والمعاناة، وطول الزمن،وانتشار الفساد، تصل إلى إيجاد علاج لبعض مشكلاتهم يتوافق مع التشريع الإلهي، ومرد ذلك ليس الأخذ من التشريع الإلهي سراً، وإنما لأن الواقع . آفاق وأنفس . أجبرهم على الوصول

إلى هـذا الحل،كونـه متوافقـاً ومنـسجماً معـه، وكـون الحـل منـسجماً مـع الآفـاق والأنفس، فإنه يكون الحكم الشرعي نفسه،لأن الواقع والنص كليهما من مصدر واحـد[1]،والانـسجام بينهمـا ضـرورة إيمانيـة وعلميـة، فالمجتمعـات الإنـسانية إذا استخدمت العلـم وأرادت لنفـسها الأمـن والـسلام لتعـيش بـسعادة علـى الأرض، فإنها سوف تصل إلى الإقرار بصواب وأحقية شرع الله، ويصير الدين والعلم واحداً {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } فصلت (53)، ولكـن المجـرمين يمنعـون وصـول هـذه الحقيقـة إلى عامـة النـاس ويقومـون بـالتعتيم والتـشويش عليهـا وتغطيتهـا ليـستمر اسـتبدادهم في الـسلطة والثـروات واسـتعباد النـاس ثقافـة وطاقـة {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } النمل(14).

{وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ }العنكبوت39

---

[1] انظر على سبيل المثال: توجه العالم إلى منع أكل لحم الخنزير أو تربيته، ومنع المخدرات والإباحية الجنسية، وذلك للوقاية من أنفلونزا الخنازير، والإيدز!!.



**سامر بن محمد نزار إسلامبولي**

**- تولُّد: دمشق، سورية/ 1963/م.**

**- باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.**

**- عُضو في اتِّحاد الكُتَّاب العرب.**

- نشر له مقالات في مجلَّة العالم، ومجلَّة إسلام 21، ومجلَّة شباب لك، وجريدة الوقت البحرينية، وجريدة المثقف، وجريدة الأسبوع الأدبي...

مُؤلّفاته حسب تاريخ صدورها

1- علْم الله وحرية الإنسان، دمشق، دار الأهالي،ط1 /1994 /م.

2- الآحاد الإجماع النسخ دراسة نَقْدية لمفاهيم أصولية، دمشق، دار الحكمة،ط1 /1995/م، دار الأوائل، ط 2 /2002/م.

3- الألوهية والحاكمية، دراسة علمية من خلال القرآن الكريم، دار الأوائل، دمشق، ط1 /2000 /م.

4- تحرير العقل من النقل قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، دار الأوائل، دمشق، ط2000/1/وط2 / 2003/م.

5- المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحَّح، دار الأوائل، دمشق، ط1999/1/وط2 / 2002م.

6- ظاهرة النصّ القرآني تاريخ ومعاصرة (ردّ على كتاب: النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة للطيب تيزيني)، دار الأوائل، دمشق، ط2002/1/م.

7- القرآن بين اللُّغة والواقع، دار الأوائل، دمشق، ط 2005/1/م.

تقديم الأستاذ: د. سمير إبراهيم حسن، عميد كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية في دمشق، والأستاذ: د. محمد الحبش، مدير مركز الدراسات الإسلامية في دمشق.

8- القرآن من الهجر إلى التفعيل، دار الأوائل، دمشق، ط2008/1م.

9- غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري لا قرآني.2008م

10- مفهوم السنة غير الحديث.2008م

11- دراسة إنسانية في الرُّوح والنَّفْس والتفكير، تقديم الأستاذ: جودت سعيد، والأستاذ: ندرة اليازجي. 2011م/دمشق

12- علْمية اللسان العربي وعالميّته، تقديم الأستاذ: د. مازن الوعر.2011م

13- حوارات ثقافية. 2011م

14- ميلاد امرأة (قصة نَفْسية واجتماعية)، تقديم الأستاذ: ندرة اليازجي.2011م

15- فتاوى أزهرية وأفكار فلسفيَّة (قَصَص قصيرة).2011م

16- مفاهيم ثقافية ( الله، الحرية، الشيء، العدم، الموت، الثالوث، التقمص 2011م

17- اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.2011م

18 – نبي الإسلام غير نبي المسلمين. 2011

19- مسودة مشروع ثقافي راشدي. 2011

عنوان الباحث

مصر -القاهرة

جوال: 00201141025253

بريد الكتروني: s.islambouli@gmail.com